المجلد السابع والعشرون للعام ٢٠٢٣م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

الضابط اللغوي بين الاطراد والتنوع القرائي
دراسة سياقية للفعل المضارع في القرآن الكريم
(نحويا ومعجميا)

The linguistic control between regularity and reading diversity: a contextual study Present tense in the Holy Quran (grammatically and lexically)

بقلم الدكتور

مصطفى أحمد محمد إسماعيل

أستاذ أصول اللغة المساعد

في كلية اللغة العربية فرع جامعة الأزهر بالمنوفية ـ مصر

الجزء الرابع (إصدار يونيو ٢٠٢٣م)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

الضابط اللغوي بين الاطراد والتنوع القرائي دراسة سياقية للفعل المضارع في القرآن الكريم (نحويا ومعجميا)

مصطفى أحمد محمد إسماعيل

قسم أصول اللغة- كلية اللغة العربية-جامعة الأزهر-جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: mostafaesmaiel.lan@azhar.edu.eg

الملخص

تقوم فكرة هذا البحث على دراسةٍ للفعل المضارع في القرآن الكريم الذي ورد بصورتين من حيث تنوع القراءات واتفاقها، وعلاقة ذلك بالقاعدة اللغوية، باحثا عن دور القاعدة، ودور السياق في بيان ذلك، كأن يجيب مثلا عن هذا السؤال؟ (ورد المضارع معطوفا بالواو على جواب الشرط على ثلاث صور: **مرفوعا**، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ ﴾[آل عمران:٢٩]، **ومجزوما** كالآية اللاحقة :﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ ﴾[آل عمران:٣١]، **ومختلفا فيه** بين القراءات المتواترة كقوله تعالى:﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ ﴾ [البقرة:٢٧١]، فما التفسير الدلالي للصور الثلاث وسياقها التركيبي واحد؟).

وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين، جاء أولهما للمستوى النحوي من خلال ثلاثة مطالب، وكان المبحث الثاني للمستوى المعجمي.

وقد خلص البحث إلى مجموعة من النتائج منها: ما اتفقت عليه القراءات المتواترة بجزم المضارع المقترن بالواو أو الفاء الوارد بعد جواب الشرط، هو الأجود من حيث الصناعة اللغوية، وفي كلها عُلِّق الجزاء وما عُطف عليه بالشرط، وقد جاءت في سياقات مغفرة الذنوب ورحمته تعالى بعباده، مشروطة بتقواه وطاعة أوامره، وغير ذلك مما ذكر النتائج وضعت في محلها.

الكلمات المفتاحية: الفعل المضارع، السياق، تنوع القراءات، الرسم العثماني.

The linguistic control between regularity and reading diversity : a contextual study Present tense in the Holy Quran (grammatically and lexically)

Mostafa Ahmad Muhammad Ismael‹

Department of Language Origins‹ Faculty of Arabic Language in Menoufia‹ Al-Azhar University‹ Egypt

email: mostafaesmaiel.lan@azhar.edu.eg

Abstract:

The idea of this research is based on a study of the present tense verb in the Holy Qur'an, which was mentioned in two forms in terms of the diversity of readings and their agreement, and its relationship to the linguistic rule looking for the role of the rule, and the role of the context in explaining that, such as answering, for example: This question? (The present tense is given in Waw on the answer to the condition in three forms: raised like the Almighty saying: "Say that you hide what is in your chests or look like God knows and knows what is in the heavens and on earth", and divided as the subsequent verse: "Say if you love God, follow me, God loves you and forgives you your sins", and different in it between frequent readings as the Almighty says: "And if you look or hide what is in yourselves, God will hold you accountable for it, and he will forgive whoever He wants." He will torture whomever he wants", so what is the semantic interpretation of the three images).

The research came introduction, introduction and two sections, the first of which came to the grammatical level through three demands, and the second section was for the lexical level.

The research concluded a set of results, including what was agreed upon by the frequent readings asserting the present tense associated with the Waw or the fulfillment contained after the answer to the condition, is the finest in terms of the linguistic industry, and in all suspended the penalty and what kindness to him condition, has come in the contexts of forgiveness of sins and mercy Almighty servants conditional piety and obedience to his orders, and other than mentioned results put in place.

Keywords: Present tense verb - context - diversity of readings - Ottoman drawing

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رحمة الله للعالمين، ورضي الله عن صحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد أنزل الله القرآنَ الكريم باللسان العربي المبين، وتواترت قراءاته من لدن النبي ــ صلى الله عليه وسلم، و طاف العلماء حولها بين الاحتجاج لها والاحتجاج بها، وبيان أثرها الدلالي وفق المجالات المعرفية المختلفة، فصارت حجةً في قواعد اللغة وعلوم الشريعة، واحتج علماؤنا لها بالقواعد اللغوية التي أُصِّلت لنا.

والذي يتدبر تنوع القراءات المتواترة ومدى توافق هذا التنوع مع القاعدة أو الضابط اللغوي يجد الصور الآتية:

الصورة الأولى:- أن تتفق القراءات المتواترة وفق الضابط اللغوي، ككل مضارع سبق بـ (لم) فإنه مجزوم، وكل مضارع سبق بـ(لن) فإنه منصوب.

الصورة الثانية: أن تتنوع القراءات المتواترة وفق الضابط اللغوي في جميع مواضعه، نحو ما ذكرته معاجم اللغة، " **حَزَنَهُ الأَمْر يَحْزُنُه... وأَحْزَنَهُ غيرُهُ،... لُغَتان**.... حَزَنَه لُغةُ قُرَيْشٍ، وأَحْزَنَه لُغَةُ تَمِيمٍ،... وأَمَّا الفِعْلُ اللازمُ فإِنَّه يُقالُ فِيهِ: حَزِنَ يَحْزَنُ لَا غَيْر"(١)، وقد قرئ بهما في جميع مواضع المضارع المتعدي إلى المفعول (٢)، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡ ﴾ [يونس:٦٤]، ونحوه قول معاجم اللغة:"... **حَسِبَهُ كَذَا كَنَعِمَ يَحْسِبُهُ ويَحْسَبُه فِي لُغَتَيْهِ بالفَتحِ والكَسْرِ**"(٣)، وقد قرئ هذا المضارع في جميع مواضعه(٤)

(١) تاج العروس (ح ز ن).
(٢) تقريب النشر (٤٨٧/٢).
(٣) تاج العروس (ح س ب).
(٤) واحد وثلاثون موضعا.

بالكسر والفتح[١]، كقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾[القيامة:٣].

الصورة الثالثة: أن تتفق القراءات المتواترة وفق الضابط اللغوي في أكثر لغة القرآن، وتخالفه ظاهريا في مواضع قليلة، كما في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يَأْتِ** لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴾[هود:١٠٥]، حيث إن الفعل ﴿**يَأْتِ**﴾مرفوع، لكن ياءه محذوفة، وقد" أَثْبَتَهَا وَصْلًا الْمَدَنِيَّانِ، وَأَبُو عَمْرٍو وَالْكِسَائِيُّ، وَأَثْبَتَهَا ابْنُ كَثِيرٍ وَيَعْقُوبُ فِي الْحَالَيْنِ وَحَذَفَهَا الْبَاقُونَ"[٢]، والِاجْتِزَاء بِالْكَسْرَةِ عَنِ الْيَاءِ كَثِيرٌ فِي لُغَةِ هُذَيْلٍ[٣]، وجميع مواضع هذا الفعل خلا هذا الموضع لم تختلف فيه القراءات المتواترة.

الصورة الرابعة:ــ أن تتنوع القراءات المتواترة وفق أوجه الضابط اللغوي في مواضع، وتتفق في بعضها، ككل مضارع " اجتمع فيه تاءان جاز فيه إضمار إحداهما"[٤]، وإظهارهما، وإدغام الثانية في مقاربها، وذلك مثل الفعل (تفرَّقَ) ورد في خمسة مواضع، يتفق صورةً في ثلاثة مواضع منها، ويختلف زمنًا، يقول تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا **وَلَا تَفَرَّقُوا۟** ۚ﴾[آل عمران:١٠٣] ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ **تَفَرَّقُوا۟** وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ﴾[آل عمران:١٠٥]﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ **فَتَفَرَّقَ** بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾[الأنعام:١٥٣]﴿أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا **تَتَفَرَّقُوا۟** فِيهِ ۚ﴾[٥] [الشورى:١٣]﴿وَمَا **تَفَرَّقُوٓا۟** إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ﴾[الشورى:١٤]، حيث تنوعت القراءات المتواترة بين تخفيف التاء

(١) تقريب النشر في القراءات العشر (٤٧٦/٢).
(٢) النشر(٢٩٢/٢).
(٣) البحر المحيط(٢٠٩/٦)
(٤) التفسير البسيط (٥٣/٧).
(٥) ذكر البقاعي تفسير دلاليا لإثبات التاءين، فقال:" {ولا تتفرقوا} أي تفرقاً عظيماً بما أشار إليه إثبات التاء، وكأن ذلك إشارة إلى التحذير من التفرق في الأصل وإذن في الاجتهاد على قدر القوة في الفرع" (نظم الدرر٢٦٦/١٧).

وتشديدها في الموضع الأول والثالث[1]، واتفقت على تاء واحدة في الثاني والخامس، واتفقت على إظهارهما في الرابع، ويتناظر الموضعان الأول والرابع تركيبيا، ويختلفان رسما وتنوعا قرائيا، وهذه الصورة والتي قبلها هما محل البحث.

وهذه الحلقة الثانية من هذا البحث، وقد خصصتها للمستويين النحوي والمعجمي، وكانت **الحلقة الأولى للمستويين الصوتي والصرفي.**

أهداف الدراسة:

من أهداف هذه الدراسة ما يأتي:

- ــ الكشف عن صورة من صور الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم من خلال تنوع القراءات المتواترة واتفاقها في الفعل المضارع.
- ــ بيان الصلة الوثقى بين السياق وتنوع القراءات في الفعل المضارع أو عدم تنوعها في التركيب نفسه في مواضع أخرى.
- ــ إبراز الأثر الدلالي لمواضع التنوع والاتفاق في الصورة التركيبية للفعل المضارع في القرآن الكريم.
- ــ مدى اطراد الضابط اللغوي في ضوء التنوع القرائي.

أسئلة البحث:

يحاول البحث أن يجيب على أسئلة، منها:

- ــ هل تتنوع القراءات المتواترة في مواضع وتتفق في مواضع أخرى للمضارع ذي الصورة التركيبية الواحدة في القرآن الكريم؟
- ــ هل للسياق دور في بيان سبب التنوع والاتفاق القرائي؟
- ــ هل يترتب على التنوع والاتفاق القرائي أثر دلالي؟

(١) الحجة للقراء السبعة (٤/٥).

الدراسات السابقة:

من الدراسات السابقة للفعل المضارع في القرآن الكريم:

- **التحول الزمني للفعل المضارع في سورة طه:** سارة علي عبد الله الحكمي، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية،ع(٢) مج (٢).
- **الخلاف في إدغام إحدى التائين المبدوء بهما الفعل المضارع في بعضهما وفي حذف إحداهما:** د. نهاد حسوبي صالح، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد الثالث والأربعون ٢٠٠٥م.
- **دلالات الفعل المضارع الزمنية في سورتي يوسف والنحل:** لبنى عبد الرحمن، (ماجستير)، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا ٢٠٠٤م.
- **الدلالة الزمنية للفعل الماضي والمضار ع في النص القرآني:** د. زينة قرفة، مجلة دراسات ٢٠١٧م.
- **الدلالة الزمنية للفعل المضارع في سورة التوبة:** هداية نعيم محمد أبو زاكية، (ماجستير)، جامعة الشرق الأوسط ٢٠١٦م.
- **سوابق الفعل المضارع في الفصحى واللهجات العامية والألسن العربية الجنوبية:** محمد بن سالم المعشني، اللسانيات، الجزائر، مج ٢٠٠٧م، ع ١٢، ١٣، ديسمبر ٢٠٠٧م.
- **ضبط عين المضارع الثلاثي:** د. أحمد عبد الستار الجواري، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الرابع والثلاثون، ج(٤) ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م.
- **الفعل العربي وصيغته الزمنية في جزء عم:** فايزة كريم، (رسالة ماجستير)، الجزائر، ٢٠١٤م.
- **الفعل المضارع بعد الفاء المسبوقة بالنفي في القرآن الكريم:** د. علي ناصر محمد، مجلة كلية العلوم الإسلامية.

- **الفعل المضارع في سورة آل عمران، دراسة صرفية ونحوية تطبيقية:** مصطفى عبد الرحمن، (ماجستير)، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا ٢٠٠٥م.
- **الفعل زمانه وأبنيته:** إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.
- **قراءات الفعل المضارع المعطوف في القرآن الكريم، دراسة نحوية،** د. أحمد إبراهيم الجدبة، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الرابع عشر، العدد الثاني ٢٠٠٦م.
- **القراءات القرآنية للأفعال المضارعة، دراسة نحوية:** صابرين خميس اللولو، (ماجستير)، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية، غزة ١٤٢٨هـ =٢٠٠٧م.
- **معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم:** عبد القادر حامد، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة ١٩٥٨م.
- **نحو الفعل المضارع ومكانته في التراكيب الإسنادية:** د. رمزي منير بعلبكي ١٩٧٥م.
- **نواصب الفعل المضارع في القرآن الكريم، دراسة نحوية:** عبد الجبار فتحي زيدان، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج(٢) ع(٣) ٢٠٠٥م.

وكل هذه الدراسات تختلف مع الدراسة التي أقوم بها كما سيظهر ــ إن شاء الله ــ

منهج الدراسة:

اتبعت في هذا البحث المنهجين: الوصفي والمقارن، من خلال الاستقراء والتحليل والاستنباط، فقمت بوصف المسألة ثم مقارنة المختلف فيه قراءة بالمتفق عليه، وبيان أثر السياق في ذلك، ودلالة الاختلاف والاتفاق.

خطة الدراسة:

اقتضت هذه الدراسة أن تشتمل على مقدمة وتمهيد ومبحثين، جاء أولهما للمستوى النحوي من خلال ثلاثة مطالب، وكان المبحث الثاني للمستوى المعجمي، تلاهما خاتمة لأهم نتائج البحث، ثم ثبتان، أحدهما لأهم مصادر البحث، والآخر للموضوعات.

أسأل الله التوفيق في القول والعمل، وأن يعصمنا من الزلل،﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[هود:٨٨]، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تمهيد: الفعل المضارع: دلالاته المعجمية والصوتية

أ ــ " الضَّادُ وَالرَّاءُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى لِينٍ فِي الشَّيْءِ، مِنْ ذَلِكَ ضَرَعَ الرَّجُلُ ضَرَاعَةً، إِذَا ذَلَّ، وَرَجُلٌ ضَرَعٌ. ضَعِيفٌ،... وَمِنَ الْبَابِ ضَرْعُ الشَّاةِ وَغَيْرِهِ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنْ لِينٍ، وَيُقَالُ: أَضْرَعَتِ النَّاقَةُ، إِذَا نَزَلَ لَبَنُهَا عِنْدَ قُرْبِ النِّتَاجِ، فَأَمَّا الْمُضَارَعَةُ فَهِيَ التَّشَابُهُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ، قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: اشْتِقَاقُ ذَلِكَ مِنَ الضَّرْعِ، كَأَنَّهُمَا ارْتَضَعَا مِنْ ضَرْعٍ وَاحِدٍ..."[1]، قَالَ الأَزْهَرِيّ(ت٣٧٠هـ):" والنَّحْوِيُّون يَقُولُونَ للفِعل المُستَقبَل: مُضارِع؛ لمُشاكَلَتِه الأسماءَ فِيمَا يَلْحَقُه من الْإِعْرَاب"[2]، فالمُضارِعُ مِنَ الأَفعال: مَا أَشبه الأَسماء، وَهُوَ الْفِعْلُ الْآتِي وَالْحَاضِرُ[3]، فالْمُضَارَعَةُ: الْمُشَابَهَةُ، والمضارع فِي اللُّغَة: المشابه والمشارك فِي الضَّرع.

وعلة تسمية المضارع بذلك مشابهته الاسم، "وَوجه المشابهة الْعُمُوم وَالْخُصُوص، ومنشأ وَجه المشابهة وُقُوع الْفِعْل الْمُضَارع مُشْتَركا بَين زماني الْحَال والاستقبال، كَمَا أَن الِاسْم يكون مُشْتَركا بَين الْمعَانِي المتعددة، وتخصيصه بِأَحَدِهِمَا بِدُخُول السِّين أَو سَوف. كَمَا أَن الِاسْم الْمُشْتَرك يتخصص بِأحد الْمعَانِي بِالْقَرِينَةِ، فَكَأَنَ المضارعين أَي المشابهين يشربان لبن المشابهة من ضرع وَاحِد وَهُوَ الْعُمُوم وَالْخُصُوص" [4].

ب - وَالْفِعْلُ الْمُضَارِعُ في اصطلاح النحاة: مَا صَلَحَ أَنْ يَتَعَاقَبَ عَلَيْهِ الزَّوَائِدُ الْأَرْبَعُ، وَهُوَ قَبْلَ الْمَاضِي فِي الْوُجُودِ ؛لِأَنَّهُ يَقَعُ فَيُخْبَرُ بِهِ، فَإِذَا تَمَّ صَارَ مَاضِيًا[5]، وحده الفاكهي (ت ٩٧٢ هـ) بقوله:" كلمة دلت وضعا على حدث وزمان غير منقض، حاضرا كان أو مستقبلا"[6].

---

(١) مقاييس اللغة (ض ر ع)(٣٩٦/٣).
(٢) تهذيب اللغة: (باب العين والضاد مع الراء) (٢٩٨/١).
(٣) لسان العرب (ض ر ع).
(٤) دستور العلماء(١٩٣/٣).
(٥) المصباح المنير (ض ر ع)(٣٦١/٢).
(٦) شرح كتاب الحدود في النحو: للفاكهي(٩٩).

ج ــ **والتفسير الصوتي لحروف المضارعة** أن " المضارع لما كان فرعا على الماضي لكونه بعده في الوجود احتاجوا فيه إلى زيادة في اللفظ، وكان أولى الحروف بذلك حروف المد واللين، فأتوا بالياء للغائب والغائبَين والغائبِين والغائبات، وأتوا بالألف للمتكلم واحدا وحرَّكوها لوقوعها أولا فصارت همزة، وأما الواو فاستثقلوها أولا ولذلك لا تزاد أولا البتة فأبدلوها تاء لقربهما في المخرج، ولذلك كثيرا ما تبدل الواو تاء، نحو " تُكَلة وتُخَمة" في " وُكَلة ووُخَمة"(١)، وجعلوها للمخاطب مطلقا والغائبة والغائبتَين، فبقي المتكلم إذا لم يكن واحدا أو واحدا معظِّما، ووجدوا النون أشبه شيء بحروف المد واللين؛ لأن فيها غنة في الخيشوم فوضعوها بإزائه"(٢).

المضارع بين الحقيقية والمجاز والاشتراك:

اتفق العلماء على جواز استعمال المضارع في الحال والاستقبال اختلفوا في: أنه حقيقة فيهما، أو مجاز في الاستقبال حقيقة في الحال، أو بالعكس؛ فالأكثرون على الأول، وقد بنى الفقهاء على هذا الخلاف في دلالة المضارع بين الحقيقة والمجاز أثرا فقهيا، يقول ابن المبرد الحنبلي (ت: ٩٠٩هـ):" المضارع حقيقة في الحال، مجاز في الاستقبال، وقيل عكس هذا، وقيل: لا يستعمل في الاستقبال أصلا، وقيل: لا يستعمل في الحال أصلا. وقيل: مشترك بينهما، وهو الصحيح. إذا علمت هذا، فمن فروع القاعدة: إذا قال لزوجته: طلقي نفسك، فقالت: أُطلق، فتارة تريد الوقوع في الحال فيقع، وتارة تريد

(١) رَجُلٌ وَكَلٌ، مُحَرَّكَة، وَوُكَلَةٌ وَتُكَلَةٌ، عَلَى البَدَل، كَهُمَزَةٍ فِيْهِما، وَمُواكِلٌ بالضَّمِّ غَيْر مَهْمُوز، أَيْ: عاجِزٌ كَثِيرُ الاتِّكَالِ عَلَى غَيْرِهِ، يُقَالُ: وُكَلَةٌ تُكَلَةٌ، أَي: عاجِزٌ يَكِلُ أَمْرَهُ إِلَى غَيْرِهِ وَيَتَّكِلُ عَلَيْهِ.(تاج العروس (و ك ل)، وأَصْلُ التُّخَمَةِ: وَخَمَةٌ، تَاؤُهُ مُبْدَلَةٌ مِنْ وَاوٍ، و قَدْ تَخِمَ، كَضَرِبَ، وَعَلِمَ يَتْخِمُ، وَيَتْخَمُ، مِثْلُ اتَّخَمَ يَتَّخِمُ، مِنَ الطَّعَامِ، وَعَنِ الطَّعَامِ، وَأَتْخَمَهُ الطَّعَام عَلَى أَفْعَلَهُ، وَأَصْلُهُ: أَوْخَمَهُ.(تاج العروس: و خ م)

(٢) سرائر العربية في شرح الوافية الحاجبية: محمد بن علي الجرجاني (٢/٢٥٣).

الاستقبال فلا يقع في الحال شيء، وتارة تريد المعنى، ومنها: إذا ادعى عليه فقال: أنا أقر، فقد قال الأصحاب: إنه لا يكون إقرارا، جزم به أكثرهم،.."[١].

أحوال الفعل المضارع من حيث الإعراب والبناء:

للفعل المضارع أربعة أحوال: (البناء ــ والرفع ــ والنصب ــ والجزم)، وأصل الفعل البناءُ لعدم ما يوجب الإعرابَ من توارد المعاني اللازمة عليه، والفعل المضارع معربٌ ،[٢]، والْجَزْم فِي الْأَفْعَال بِمَنْزِلَة الْجَرّ فِي الْأَسْمَاء، مَعْنَاهُ: أَن الْمُضَارع لما أشبه الِاسْم أعرب بِالرَّفْع وَالنّصب وَتعذر الْجَرّ، فَجعل الْجَزْم عوضا عَنهُ[٣].

❁❁❁❁❁

(١) **زينة العرائس من الطرف والنفائس في تخريج الفروع الفقهية على القواعد النحوية: لابن المبرد الحنفي (٢٠)** ويمكن أن يرجَّح الثاني بثلاثة أوجه: **الأول:** أن الذهن يسبق إلى الحال عند إطلاق اللفظ مجردا عن القرائن، ك " زيدٌ يصلي" مثلا، وذلك من أقوى دلائل الحقيقة مع نفي الاشتراك. **الثاني:** أنهم وضعوا للاستقبال ما يدلُّ عليه وهو السين وسوف، ولم يضعوا للحال ما يدلُّ عليه بل استعملوا اللفظ له مجردا عن القرينة، ولو كان مشتركا أو مجازا في الحال لم يكن له بدٌّ من القرينة. **الثالث:** أنه قد ثبت في أصول الفقه: أن المجاز خير من الاشتراك، فالأولى حينئذ أن يكون مجازا في المستقبل للدليلين الأولين. وإن أمكن ترجيح هذا المذهب، لكن القول بالاشتراك أولى في هذه الصناعة؛ لأن إعراب المضارع يتوقف على المشابهة، وتلك لا تحصل إلا بالقول بالاشتراك، فوجب المصير إليه لتحصيل المشابهة المحصِّلة للإعراب **(سرائر العربية في شرح الوافية الحاجبية: محمد بن علي الجرجاني (٢/٢٥٤)، والمضارع حَقِيقَة فِي الْحَال عِنْد الْفُقَهَاء، ومشترك بَين الْحَال والاستقبال فِي الْعرف، والمقابل للماضي هُوَ الْمُضَارع لَا الْمُسْتَقْبل (الكليات: ص٨٤٠).**

(٢) **سرائر العربية في شرح الوافية الحاجبية: محمد بن علي الجرجاني (٢/٢٥٦).**

(٣) **الكليات(ص١٠٤٩)**

المبحث الأول: المستوى النحوي

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نون التوكيد بين التخفيف والتثقيل:

الضابط:" كل مَوضِع دَخلته النُّون الثَّقِيلَة دَخلته الْخَفِيفَة، إِلَّا فِي الِاثْنَيْنِ المذكرين والمؤنثين وَجمع الْإِنَاث" (١)، ويُبْنى المضارعُ مع النون؛ لأن النون لحقت حرفَ الإعراب، على جهة التأكيد، فصار بمنزلة ضمِّ الاسم إلى الاسم في (خَمْسَةَ عَشَرَ)، ونحوه(٢).

وحين نطبق هذا الضابط في القرآن الكريم في ضوء تنوع القراءات واتفاقها، نجد أن القراء العشرة اختلفوا في قوله ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾[آل عمران:١٩٦]، و﴿يَحْطِمَنَّكُمْ﴾[النمل:١٨] و﴿يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾[الروم:٦٠]، ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ [الزخرف:٤١]﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾ [الزخرف:٤٢]،" فَرَوَى رُوَيْسٌ تَخْفِيفَ النُّونِ مِنْ هَذِهِ الْأَفْعَالِ الْخَمْسَةِ فِي الْكَلِمَاتِ الْخَمْسِ، والباقون بالتشديد في ذلك" (٣).

ويرد هنا سؤالان: الأول: ما دلالة تنوع القراءات المتواترة في هذه الأفعال دون نظائرها التركيبية، كقوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾[المائدة:٢٧] وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾[المائدة:٢] (٤)؟

---

(١) الكليات(٨٨٨).

(٢) التفسير البسيط للواحدي(٦/٢٦٧) وتنفرد النون الخفيفة بأربعة أحكام (ينظر: التصريح بمضمون التوضيح(٢/٣١٠ ــ ٣١٤).

(٣) النشر في القراءات العشر(٢/٢٤٦)، وَاتَّفَقَ أَئِمَّتُنَا فِي الْوَقْفِ لَهُ عَلَى ﴿نَذْهَبَنَّ﴾ أَنَّهُ بِالْأَلِفِ.

(٤)وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾[طه:١٦]وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [القصص:٨٧] وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف:٦٢]نعم قرئ ذلك في الشواذ بالتخفيف، ونسب إلى ابْن أَبِي إِسْحَاقَ وَيَعْقُوب (البحر المحيط٣/٤٨٢)

الثاني: ما دلالة تنوع القراءات المتواترة في هذه الألفاظ الخمسة دون نظائرها من الألفاظ نفسها؟ كتنوع القراءات المتواترة في قوله تعالى: ﴿**لَا يَغُرَّنَّكَ** تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾[آل عمران:١٩٦] واتفاقها في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا **تَغُرَّنَّكُمُ** ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا **يَغُرَّنَّكُم** بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾[فاطر:٥]

وللإجابة على هذين السؤالين أقول:

أ) ذكر علماؤنا في توجيه هذا التنوع القرائي أنك" إذا أتيت بالنون الخفيفة والثقيلة كان أوكد للكلام"(١)، وكل موضع دخلته النون الشديدة دخلته الخفيفة، وليس كل موضع تدخله الخفيفة تدخله الشديدة، والتشديد آكد في الفعل(٢)، قال أبو الحسن شريح(ت٥٣٩هـ):" هذه النون الخفيفة تدخل على الأفعال للتأكيد كما تدخل المشددة، إلا أن المشددة أبلغ في التأكيد عند النحويين"(٣)؛ لما فيها من زيادة نون، فإن الثقيلة نونان، والخفيفة نون واحدة(٤)، فكلاهما حسن.

ب) هناك ملامح دلالية بين الخفيفة والشديدة غير ملمح المبالغة في التوكيد الذي تحمله النون الشديدة، فحين جمع القرآن بين النونين في سياق واحد في قوله تعالى: ﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ **لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا** مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾[يوسف:٣٢] ذكر علماؤنا ملامح دلالية، منها:

---

(١) البسيط للواحدي(٩٦/١٠)

(٢) الكتاب الجامع لقراءات الأئمة العشرة بعللها ووجوهها وزيادة عليها: للفارسي الشيرازي (٣٧٥/١).

(٣) الجمع والتوجيه لما انفرد بقراءته يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري: لأبي الحسن شريح الأشبيلي(ص٢٤).

(٤) الموضح: لابن أبي مريم(١١٥١/٣).

أ ــ أكدت ﴿لَيُسْجَنَنَّ﴾ بالنون الشديدة لتحققه، وما بعده بالنون الخفيفة لأنه غير محقق"[١].

ب ــ لما كان عزمها على السجن أقوى من العزم على إيقاع الصغار به، أكدته بالنون الثقيلة وقالت: ﴿وَلَيَكُونًا﴾ بالنون الخفيفة ﴿مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾أي الأذلاء.

ج ــ أو أن الزيادة في تأكيد السجن؛ لأنه يلزم منه إبعاده، وإبعاد الحبيب أولى بالإنكار من إهانته [٢].

د – ويمكننا الآن استقراء الكلمات الخمس في سياقاتها:

الموضع الأول:

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾[النمل:١٨]، وقد حمل هذا التنوع القرائي دلالات منها:

أ ــ وجه الشديدة في ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾ أن" الفاعلين كثرة، فثقّلت العين للدّلالة على الكثرة" [٣]، قال البقاعي(ت٨٨٥هـ):" قالت ... : ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾ أي يكسرنكم ويهشمنكم، أي: لا تبرزوا فيحطمنكم، فهو نهي لهم عن البروز في صور نهيه وهو أبلغ من التصريح بنهيهم؛ لأن من نهى كبيراً عن شيء كان لغيره أشد نهياً {**سليمان وجنوده**} أي فإنهم لكثرتهم إذا صاروا في الوادي استعلوا عليه فطبقوه، فلم يدعوا منه موضع شبر خالياً" [٤].

ب ــ" النون الثقيلة أبلغ في باب التأكيد من الخفيفة"[٥]، ودلالة المبالغة في التأكيد، أنها بينت أن التحطيم قد ينتج لعدم شعورهم بالنمل، كما جاء في السياق القرآني ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾.

---

(١) حاشية الشهاب(٥/١٧٥).
(٢) نظم الدرر(١٠/٧٤).
(٣) الحجة للقراء السبعة(٥/٣٨١).
(٤) نظم الدرر(١٤/١٤٣).
(٥) الموضح لابن أبي مريم(٩٥١).

ج ــ في قراءة التخفيف **دلالة صوتية** تتمثل في أن الكلمة طالت" مع اجتماع الحاء المستعلية[1]، والطاء المطبقة، فكان التخفيف فيها حسنا"[2].

د ــ في قراءة التخفيف **دلالة سياقية لفظية** تتمثل في أن قوله ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾" جواب لقوله: ﴿ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾، فخفف النون؛ ليكون الجواب مثل الأمر في التخفيف"[3].

هـ ــ لعل التنوع القرائي إشارة ــ أيضا ــ إلى التنوع الدلالي لـ ﴿لَا﴾حيث تحمل دلالتي النهي والنفي، فـ" إِنْ جُعِلَتْ ﴿لَا﴾نَاهِيَةً كَانَتِ الْجُمْلَةُ مُسْتَأْنَفَةً تَكْرِيرًا لِلتَّحْذِيرِ وَدَلَالَةً عَلَى الْفَزَعِ؛ لِأَنَّ الْمُحَذِّرَ مِنْ شَيْءٍ مُفْزِعٍ يَأْتِي بِجُمَلٍ مُتَعَدِّدَةٍ لِلتَّحْذِيرِ مِنْ فَرْطِ الْمَخَافَةِ، وَالنَّهْيِ عَنْ حَطْمِ سُلَيْمَانَ إِيَّاهُنَّ كِنَايَةً عَنْ نَهْيِهِنَّ عَنِ التَّسَبُّبِ فِيهِ وَإِهْمَالِ الْحَذَرِ مِنْهُ، كَمَا يُقَالُ: لَا أَعْرِفَنَّكَ تَفْعَلُ كَذَا، أَيْ لَا تَفْعَلْهُ فَأَعْرِفْكَ بِفِعْلِهِ، وَالنُّونُ تَوْكِيدٌ لِلنَّهْيِ، وَإِنْ جُعِلَتْ﴿لَا﴾نَافِيَةً[4] كَانَتِ

---

(١)أهل المدينة ألحقوا العين والحاء بالحروف المستعلية، فصارت الحروف المستعلية تسعة (الموضح لابن أبي مريم ١/١٧٤)، وأما على مذهب الجمهور من القدامى والمحدثين فالحاء لست حرف استعلاء، فيمكننا القول بأن الكلمة طالت مع اجتماع حرف الحلق مع الطاء الطبقة، أو أن الثقل من اجتماع النون الثقيلة مع الطاء المطبقة.

(٢) الشفاء في علل القراءات (١/٣٤٤).

(٣) السابق.

(٤) اختلفوا في المنفيّ بلا، فقيل: يجوز تأكيده لإجرائه مجرى النهي، وقيل: إنه مخصوص بالضرورة، والفراء(ت٢٠٧هـ) قال: يجوز لما فيه من معنى الجزاء... وابن جني(ت٣٩٢هـ) وبعض النحاة جوّزوه، وقد ارتضاه ابن مالك في التسهيل (حاشية الشهاب٤/٢٦٥)، وسبيل النون الشديدة والخفيفة أن تدخلا في ستة مواضع: في الأمر، والنهي، والاستفهام، وجواب اليمين، و (إما) إذا كانت جزاء، و (ما) إذا كانت صلة، كقولك: قومن، ولا تقومن، وهل تقومن، وإما تقومن أقم، والله لتقومن، وعن قليل ما تندمن (التفسير البسيط ١٠/٩٧)، هذا ما اقتصر عليه جمهور النحاة، وذهب بعض المحققين كابن هشام إلى جواز التوكيد في مواضع أخرى منها: بعد (لا) النافية، بعد (لم)، بعد أداة جزاء غير (إما)، ويرى سيبويه أن هذا الوجه والذي قبله خاص بالضرورة الشعرية، كما جوز ابن جني في (اللمع: ص ٣١٦) قياس دخول نون التوكيد في النفي. (ينظر: أوضح المسالك: ٣/ ١٢٦ – ١٣٥)

الْجُمْلَةُ وَاقِعَةً فِي جَوَابِ الْأَمْرِ، فَكَانَ لَهَا حُكْمُ جَوَابِ شَرْطٍ مُقَدَّرٍ، فَالتَّقْدِيرُ: إِنْ تَدْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ، أَيْ يَنْتَفِ حَطْمُ سُلَيْمَانَ إِيَّاكُنَّ، وَإِلَّا حَطَّمَكُمْ... " (١).

و ــ لعل التنوع القرائي إشارة ــ أيضا ــ إلى دلالة المخاطَب، فقولُه تعالى" ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾نهيٌ في الحقيقة للنَّملِ عن التأخرِ في دخولِ مساكنِهم، وإنْ كانَ بحسبِ الظَّاهر نهياً له ــ عليه الصَّلاة والسَّلام ــ ولجنودِه عن الحطْمِ، كقولِهم: لا أرينَّك هَهُنا، فهُو استئنافٌ أو بدلٌ من الأمرِ"(٢).

الموضع الثاني:

قال تعالى:﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾[الروم:٦٠]

"الِاسْتِخْفَافُ: مُبَالَغَةٌ فِي جَعْلِهِ خَفِيفًا فَالسِّينُ وَالتَّاءُ لِلتَّقْوِيَةِ مِثْلُهَا فِي نَحْوِ: اسْتَجَابَ وَاسْتَمْسَكَ، وَهُوَ ضِدُّ الصَّبْرِ، وَالْمَعْنَى: لَا يَحْمِلَنَّكَ عَلَى تَرْكِ الصَّبْرِ، وَنَهْيُ الرَّسُولِ ــ صلى الله عليه وسلم ــ عَنْ أَنْ يَسْتَخِفَّهُ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ نَهْيٌ عَنِ الْخِفَّةِ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَحْدُثَ لِلْعَاقِلِ إِذَا رَأَى عِنَادَ مَنْ هُوَ يُرْشِدُهُ إِلَى الصَّلَاحِ، وَذَلِكَ مِمَّا يَسْتَفِزُّ غَضَبَ الْحَلِيمِ، فَالِاسْتِخْفَافُ هُنَا هُوَ أَنْ يُؤَثِّرُوا فِي نَفْسِهِ ضِدَّ الصَّبْرِ" (٣)، " أمره الله تعالى بالصبر، وأن يثبت إلى أن يأتي وقت نصره، وإهلاك من ناوأه"(٤)، ويلاحظ في هذا التنوع القرائي الدلالات الآتية:

---

(١) **التحرير والتنوير(١٩/٢٤٢)**، وجَعَلَهُ الزمخشري مِنَ اقْتِرَانِ جَوَابِ الشَّرْطِ بِنُونِ التَّوْكِيدِ؛ لِأَنَّ جَوَابَ الْأَمْرِ فِي الْحُكْمِ جَوَابُ الشَّرْطِ وَهُوَ عِنْدَهُ أَخَفُّ مِنْ دُخُولِهَا فِي الْفِعْلِ الْمَنْفِيِّ بِنَاءً عَلَى أَنَّ النَّفْيَ يُضَادُّ التَّوْكِيدَ (الكشاف :٣/٣٥٦).

(٢) **إرشاد العقل السليم(٦/٢٧٨)**.

(٣) **التحرير والتنوير(٢١/١٣٥)**.

(٤) **والتفسير البسيط(١٨/٨٨) وقال الأزهري(ت٣٧٠هـ): "اسْتَخَفَّ فلانٌ بحقِّي: إذا استهان بِهِ، واسْتَخَفَّه الفرحُ: إذا ارْتَاحَ لأمر، واستَخفَّه فلَان: إذا استجهله فَحمله على اتِّبَاعِه فِي غيِّه، ومِنْه قَول الله جلّ وعزَّ: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾" تهذيب اللغة (خ ف) (٨/٧).**

أ ــ في قراءة التخفيف **دلالة صوتية** تتمثل في أن الكلمة " اجتمعت فيها زيادات، الياء والسين والنون والكاف، مع أن الخاء مستعلية، والفاء مشددة، فخففها لأجل ذلك"(١).

ب ــ "أن نون التوكيد الثقيلة أبلغ وآكد"(٢)، ولذا صُدِّر سياق الآية الكريمة بالصبر، ثم طمأن الله نبيه بالجملة الاسمية المؤكدة، فأمره سبحانه وتعالى بالصبر، وأن يثبت إلى أن يأتي وقت نصره.

ج ــ أن هذا النهي يحمل دلالتين في المنهي عنه، قال البقاعي(ت٨٨٥هـ):"... والنهي في قراءة الجماعة بالثقيلة أشد منه في رواية رويس عن يعقوب بالخفيفة، فقراءة الجماعة مصوبة إلى أصل الدين، أي لا تفعل معهم فعلاً يطمعهم في أن تميل إليهم فيه، وقراءة رويس إلى نحو الأموال فإنه كان يتألفهم بالإيثار بها، ولا شك أنه إذا آثرهم على أكابر المسلمين أطمعهم ذلك في أن يطلبوا أن يميل معهم، وما أفاد هذا إلا تحويل النهي، ولو قيل: لا تخفن معهم، لم يفد ذلك، ولا يقال عكس هذا من أن النهي في الثقيلة أخف؛ لأنه نهي عن الفعل المؤكد فيبقى أصل الفعل، وكذا ما صحبه تأكيد خفيف، وفي الخفيفة غير المؤكد تأكيداً خفيفاً فلا يبقى غير أصل الفعل فهو أبلغ؛ لأن النون لم تدخل إلا بعد دخول الناهي فلم تفد إلا قوة النهي لا قوة المنهي عنه.."(٣).

وقد يشهد لاستنباط البقاعي(ت٨٨٥هـ) ــ رحمه الله ــ السياقُ القرآني؛ ففي مسألة أصل الدين نقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨] فـ" هَذَا نَهْيٌ جَامِعٌ عَنْ مُلَابَسَةِ شَيْءٍ مِمَّا يَأْمُرُهُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، وَالْمَقْصُودُ مِنَ النَّهْيِ تَأْسِيسُ قَاعِدَةٍ لِأَعْمَالِ الرَّسُولِ وَالْمُسْلِمِينَ

(١) الشفاء في علل القراءات (٣٤٤/١) ونثر المرجان(٤٤٧/١١).
(٢) نثر المرجان(٤٤٧/١١).
(٣) نظم الدرر(١٣٨/١٥).

تجَاهَ رَغَائِبِ الْمُشْرِكِينَ وَتَأْيِيسُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ نَوَالِ شَيْءٍ مِمَّا رَغِبُوهُ من النبي ــ صلّى الله عَلَيْهِ وَآله وسلّم ــ"[1]، ويشهد لمسألة تأليف قلوبهم السياق النبوي، فعن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: قَسَمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسْمًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَعْطِ فُلَانًا فَإِنَّهُ مُؤْمِنٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْ مُسْلِمٌ» أَقُولُهَا ثَلَاثًا، وَيُرَدِّدُهَا عَلَيَّ ثَلَاثًا «أَوْ مُسْلِمٌ»، ثُمَّ قَالَ: «إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ، وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، مَخَافَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللهُ فِي النَّارِ»[2].

ويؤخذ من كلام البقاعي(ت٨٨٥هـ) ــ رحمه الله ــ أن الفعل المنهي عنه له ثلاث صور:

الصورة الأولى: دون توكيد، وهو المستوى الأعلى في النهي، كقوله تعالى لكليمه: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ﴾[طه:٦٨]، أكده أنواعاً من التأكيد لاقتضاء الحال إنكار أن يغلب أحد ما أظهروا من سحرهم لعظمه[3].

الصورة الثانية: مؤكد بنون التوكيد الخفيفة، كما في رواية رويس عن يعقوب في هذه الكلمات الخمس.

الصورة الثالثة: مؤكد بنون التوكيد الثقيلة، كما في قراءة الباقين.

---

(١) التحرير والتنوير(٣٠٦/١٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، بَابُ تَأَلُّفِ قَلْبِ مَنْ يَخَافُ عَلَى إِيمَانِهِ لِضَعْفِهِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْقَطْعِ بِالْإِيمَانِ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ قَاطِعٍ (١٥٠/١٣٢/١).

(٣) نظم الدرر(٣٠٧/١٢) = وَإِنَّمَا خَافَ مُوسَى ــ عليه السلام ــ مِنْ أَنْ يَظْهَرَ أَمْرُ السَّحَرَةِ فَيُسَاوِي مَا يَظْهَرُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ انْقِلَابِ عَصَاهُ ثُعْبَانًا؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ قَدْ سَاوَاهُمْ فِي عَمَلِهِمْ وَيَكُونُونَ قَدْ فَاقُوهُ بِالْكَثْرَةِ، أَوْ خَشِيَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ أَرَادَ اسْتِدْرَاجَ السَّحَرَةِ مُدَّةً فَيُمْلِي لَهُمْ بِظُهُورِ غَلَبِهِمْ عَلَيْهِ وَمَدِّهِ لِمَا تَكُونُ لَهُ الْعَاقِبَةُ فَخَشِيَ ذَلِكَ، وَهَذَا مَقَامُ الْخَوْفِ، وَهُوَ مَقَامٌ جَلِيلٌ.... وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ﴾ فَتَأْكِيدُ الْجُمْلَةِ بِحَرْفِ التَّأْكِيدِ، وَتَقْوِيَةُ تَأْكِيدِهَا بِضَمِيرِ الْفَصْلِ، وَبِالتَّعْرِيفِ فِي ﴿الْأَعْلَىٰ﴾ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَا خَامَرَهُ مِنَ الْخَوْفِ إِنَّمَا هُوَ خَوْفُ ظُهُورِ السَّحَرَةِ عِنْدَ الْعَامَّةِ وَلَوْ فِي وَقْتٍ مَا، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ مُوقِنًا بِأَنَّ اللَّهَ يُنْجِزُ لَهُ مَا أَرْسَلَهُ لِأَجْلِهِ لَكِنَّهُ لَا مَانِعَ مِنْ أَنْ يَسْتَدْرِجَ اللَّهُ الْكَفَرَةَ مُدَّةً قَلِيلَةً لِإِظْهَارِ ثَبَاتِ إِيمَانِ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا قَالَ لِرَسُولِهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ [آل عمران:١٩٦] (التحرير والتنوير: ٢٥٩/١٦).

الموضع الثالث:

ورد الفعل (يغرّ) في خمسة مواضع، تنوعت القراءات المتواترة في موضع واحد، هو قوله ــ تعالى ــ ﴿**لَا يَغُرَّنَّكَ** تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ [آل عمران:١٩٦]، واتفقت على التشديد في المواضع الأربعة، وهي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا **تَغُرَّنَّكُمُ** ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا **يَغُرَّنَّكُم** بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾ [لقمان:٣٣] وقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا **تَغُرَّنَّكُمُ** ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا **يَغُرَّنَّكُم** بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾[فاطر:٥]

وقدم أبو الفضل البخاري(ق٧هـ) تفسيرا صوتيا لموضع التنوع القرائي، فقال:" أما قوله ﴿**لَا يَغُرَّنَّكَ**﴾ففيها الغين، وهي مستعلية، والراء وهي مكررة، والتشديد يزيدها تكريرا، والكاف وهي حرفٌ صلبٌ، فخفَّف النون؛ ليحصل بعض التخفيف... والتشديد أبلغ وآكد، وأهله أكثر، ونظائره أوفر..."[(١)].

لكن هذا التعليل الصوتي يتنزل على المواضع الأربعة ــ أيضا ــ ويضاف إلى ذلك زيادة ميم الجمع، فهي في الفكر القرائي من ملامح الثقل، يقول أبو شامة (ت: ٦٦٥هـ) عند شرح قول الإمام الشاطبي(ت٥٩٠هـ) في الإدغام الكبير:

وَإِدْغَامُ ذِي التَّحْرِيمِ طَلَّقَكُنَّ قُلْ أَحَقٌّ وَبِالتَّأْنِيثِ وَالْجَمْعِ أُثْقِلا

أي: وقل إدغام ﴿طَلَّقَكُنَّ﴾[التحريم:٥] أحق مما تقدم ذكره من﴿يَرۡزُقُكُمۡ﴾ [يونس:٣١] ونحوه: أي أولى بالإدغام منه؛ لأن الإدغام أريد به التخفيف وكلما كانت الكلمة أثقل كان أشد مناسبة للإدغام مما هو دونها في الثقل، وقد وجد فيه أحد الشرطين وهو تحريك ما قبل القاف وفقد الشرط الثاني وهو

(١) الشفاء في علل القراءات (١/٣٤٤).

الميم، ولكن قام مقامها ما هو أثقل منها وهو النون؛ لأنها متحركة ومشددة ودالة على التأنيث والميم ساكنة خفيفة دالة على التذكير، فهذا وجه الأحقية بذلك، والناظم جعله قد ثقل بالتأنيث والجمع(١)

وأقول: معنى آية التنوع القرائي: أنه – سبحانه –يَقُولُ: لَا تَنْظُرُوا إِلَى مَا هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ مُتْرَفُونَ فِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ وَالْغِبْطَةِ وَالسُّرُورِ، فَعَمَّا قَلِيلٍ يَزُولُ هَذَا كُلُّهُ عَنْهُمْ وَيُصْبِحُونَ مُرْتَهَنِينَ بِأَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ، فَإِنَّمَا نَمُدُّ لَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ اسْتِدْرَاجًا، وَجَمِيعُ مَا هُمْ فِيهِ ﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾[آل عمران:١٩٧]، وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغُرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾[غافر:٤] (٢)، ففي الْمُخَاطَبِ فِي قَوْلِهِ: ﴿**لَا يَغُرَّنَّكَ**﴾ قَوْلَانِ: **الْأَوَّلُ:** أَنَّهُ الرَّسُولُ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَلَكِنَّ الْمُرَادَ هُوَ الْأُمَّةُ، قَالَ قَتَادَةُ: وَاللَّهِ مَا غَرُّوا نَبِيَّ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ، وَالْخِطَابُ وَإِنْ كَانَ لَهُ إِلَّا أَنَّ الْمُرَادَ غَيْرُهُ،... **وَالثَّانِي:** وَهُوَ أَنَّ هَذَا خِطَابٌ لِكُلِّ مَنْ سَمِعَهُ مِنَ الْمُكَلَّفِينَ، كَأَنَّهُ قِيلَ: لَا يَغُرَّنَّكَ أَيُّهَا السَّامِعُ(٣).

قال الماوردي (ت: ٤٥٠هـ):" فإن قيل: فإن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا يجوز عليه الاغترار، فكيف خوطب بهذا ؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أن الله ــ عز وجل ــ إنما قال له ذلك تأديباً وتحذيراً.

والثاني: أنه خطاب لكل من سمعه ، فكأنه قال: لا يغرنك أيها السامع تقلب الذين كفروا في البلاد.

وفي تقلبهم قولان:

أحدهما: يعني تقلبهم في نعيم البلاد.

---

(١) إبراز المعاني(٨٨).

(٢) الجمع والتوجيه لما انفرد بقراءته يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري: لأبي الحسن شريح الأشبيلي(ص٢٤).

(٣) مفاتيح الغيب(٩/٤٧١).

والثاني: تقلبهم غير مأخوذين بذنوبهم" [١]، وَقَدْ جُعِلَ النَّهْيُ فِي الظَّاهِرِ لِلتَّقَلُّبِ، وَهُوَ فِي الْمَعْنَى لِلْمُخَاطَبِ، وَهَذَا مِنْ تَنْزِيلِ السَّبَبِ مَنْزِلَةَ الْمُسَبَّبِ؛ لِأَنَّ التَّقَلُّبَ لَوْ غَرَّهُ لَاغْتَرَّ بِهِ، فَمَنَعَ السَّبَبَ لِيَمْتَنِعَ الْمُسَبَّبَ" [٢].

إن السورة الكريمة تحمل سياقات متنوعة لهؤلاء المشركين، منها ما يقتضي التخفيف في النهي، ومنها ما يقتضي التأكيد، وهذا باعتبار حال المخاطب، أو يمكننا القول: هل هذا النهي للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أو لغيره من الآية؟ فإذا كان للنبي ــ ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلا يقتضي توكيدا بعد السياقات التي سنقرؤها في السورة الكريمة:

ــ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [آل عمران:١٠] وقال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ [آل عمران:١٢]" كان نظرهم إلى ما فيه الكفار من عاجل السعة ربما أثّر في بعض النفوس أثراً يقدح في الإيمان بالغيب الذي هو شرط قبول الإيمان"[٣].

ــ فـ " داواه –سبحانه– بأن تلا تبشير المجاهدين بإنذار الكفار المنافقين، والمصارحين الذين أملى لهم بخذلانهم المؤمنين بالرجوع عن قتال أحد وغيره من أسباب الإملاء "[٤]، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [آل عمران:١٥٦].

ــ ثم ذكر دعاء أوليائه، فقال: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [آل عمران:١٩٤]، وعطف آخرها على أولها، "

(١) النكت والعيون للماوردي(١/٤٤٤).
(٢) البحر المحيط(٣/٤٨٢).
(٣) نظم الدرر(٥/١٦٣).
(٤) السابق.

وتأكيداً استجابة دعاء أوليائه آخر التي قبلها بقوله مخاطباً لأشرف عباده، والمراد من يمكن ذلك عادة فيه، لأن خطاب الرئيس أمكن في خطاب الأتباع – {**لا يغرنك تقلب**} أي لا تغترر بتصرف {**الذين كفروا**} تصرف من يقلب الأمور بالنظر في عواقبها لسلامتهم في تصرفهم وفوائدهم وجودة ما يقصدونه في الظاهر كجودة القلب في البدن {في البلاد } فإن تقلبهم {متاع قليل} أي لا يعبأ به ذو همة علية" [١].

قال أبو الفضل البخاري(ق٧هـ):" فإن قيل: لم لم يخفف ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾[لقمان:٣٣] ؟ قيل: الفرق بينهما أن ﴿**لَا يَغُرَّنَّكَ**﴾نهيٌ عن الغرور للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ والنهي عن هذا وأمثاله للنبي من باب التهييج، وإلا كان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أرفع درجة من أن يغرُّه تقلب درجة الكفار في البلاد، ولم يحتج إلى المبالغة في النهي، وقوله﴿ فَلَا **تَغُرَّنَّكُمُ**﴾النهي لجميع الناس، والنهي لهم حقيقة، وهم محتاجون إلى المبالغة" [٢].

وهناك نظير ثالث ورد بطريقة لغوية ثالثة غير التوكيد بالخفيفة أو بالثقيلة، قال تعالى:﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغُرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴾ [غافر:٤]، حيث قَرَأَ الْجُمْهُورُ:﴿ فَلَا يَغُرُرْكَ ﴾ بِالْفَكِّ، وَهِيَ لُغَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ. وَقرئ: (**فَلَا يَغُرُّكَ**)، بِالْإِدْغَامِ مَفْتُوحَ الرَّاءِ، وَهِيَ لُغَةُ تَمِيمٍ[٣]، وَالْمُخَاطَبُ بِالنَّهْيِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ فَلَا يَغُرُرْكَ ﴾يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ مُعَيَّنٍ فَيَعُمَّ كُلَّ مَنْ شَأْنُهُ أَنْ يَغُرَّهُ

(١) نظم الدرر(١٦٣/٥).
(٢) الشفاء في علل القراءات (٣٤٤/١).
(٣) البحر المحيط (٢٣٦/٩)، ونسب القراءة الشاذة لزَيْد بْن عَلِيٍّ: وَعُبَيْد بْن عُمَيْرٍ (ينظر: المغني في القراءات ٤/ ١٦٠٦)

تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ النَّهْيُ جَارِيًا عَلَى حَقِيقَةِ بَابِهِ، أَيْ مُوَجَّهًا إِلَى مَنْ يُتَوَقَّعُ مِنْهُ الْغُرُورُ، وَمِثْلُهُ كَثِيرٌ فِي كَلَامِهِمْ،... وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْخِطَابُ مُوَجَّهًا لِلنَّبِي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَلَى أَنْ تَكُونَ صِيغَةُ النَّهْيِ تَمْثِيلِيَّةً بِتَمْثِيلِ حَالِ النَّبِي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي اسْتِبْطَائِهِ عِقَابَ الْكَافِرِينَ بِحَالِ مَنْ غَرَّهُ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ سَالِمين، كَقَوْلِه تَعَالَى: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[الْحجر: ٣] (١).

قال البقاعي(ت٨٨٥هـ):" ﴿فَلَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُهُمْ﴾ أي تنقلهم بالتجارات والفوائد والجيوش والعساكر وإقبال الدنيا عليهم {في البلاد } فإنه لا يكون التفعل بالقلب إلا عن قهر وغلبة، فتظن لإمهالنا إياهم أنهم على حق، أو أن أحداً يحميهم علينا، فلا بد من صيرورتهم عن قريب إلينا صاغرين داخرين، وتأخيرهم إنما هو ليبلغ الكتاب أجله" (٢).

وهكذا جاء النهي عن الاغترار بتقلب الذين كفروا في البلاد بإقبال الدنيا عليهم بثلاث صور لغوية، سواء قلنا بأن الخطاب للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أو لكل مسلم: **الصورة الأولى:** النهي دون توكيد، كما في موضع سورة غافر. **الصورة الثانية:** النهي بنون التوكيد الخفيفة، **والصورة الثالثة:** النهي بنون التوكيد الثقيلة، وهاتان الصورتان وردتا في موضع واحد، في سورة آل عمران.

وأما ما اتفقت عليه القراءات المتواترة بالتشديد، والخطاب لكل الناس، فله دلالتان:

(١) التحرير والتنوير(٨٣/٢٤).
(٢) نظم الدرر(٨/١٧).

الأولى: المبالغة في التحذير من الاغترار بالدنيا، و" الْغَـرُور يعنـي: الشيطان، وهو الذي من شأنه أن يَغُرُّ" (١)، " والغَرُورُ، كصَبُورٍ: الدُّنْيَا صِـفَةٌ غالِبَة، وبِه فُسِّر قولُه تَعَالَى: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾، قيـل لأَنَّهَـا تَغُـرّ وتَمُرّ،... والغَرُورُ، أَيضاً: مَا غَرَّك من إِنْسَان وشَيْطَانٍ وغَيْرِهِمَا... مِنْ مالٍ وجَاهٍ وشَهْوَةٍ وشَيْطَانٍ، أَو يُخَصّ بالشَّيْطَانِ،... ؛ لأَنَّهُ يَغُـرّ النَّـاسَ بالوَعْـدِ الكاذِبِ والتَنْمِيَة، وبِه فُسِّرَ قولُه تعـالَى: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾، وقِيـلَ: سُمِّيَ بِهِ لأَنّه يَحْمِلُ الإِنْسَانَ على مَحابِّه ووَراءَ ذَلِك مَا يَسُوءُه، كَفَانَا اللهُ فِتْنَتَه، وقِيل: إِنّ الشَّيْطَانَ أَقْوَى الغارِّين وأَخْبَثُهُم... ويَجُوزُ أَنْ يَكُـونَ الغُـرُور ــ بالضَّمّ ــ: الأَباطِيلُ، كأَنَّهَا جمع غَرّ مصدر غَرَرْتُهُ غَرّاً" (٢).

الثانية: سياق السورتين سياق التوكيد، يقول الزمخشري(ت٥٣٨هـ) في سورة لقمان:" **فإن قلت:** قولـه ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ وارد علـى طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه. **قلت:** الأمر كـذلك، لأنّ الجملة الاسمية آكد من الفعلية، وقد انضـم إلـى ذلـك قولـه ﴿هُوَ﴾وقولـه ﴿مَوْلُودٌ﴾"(٣)، وقوله:"واردٌ على طريقٍ من التَّوكيدِ لم يَرِدْ عليه ما هو معطوفٌ عليه"...؛ لكون الجملةِ اسميَّةً، ولفظ ﴿هُوَ﴾و ﴿مَوْلُودٌ﴾، والتصـريح بلفـظ ﴿ شَيْـًٔا﴾فيه، ولفظ ﴿جَازٍ﴾مع أن قوله: (هو يجزي) لا يخرجها عن الاسميَّةِ، وأنَّ العُمومَ في ﴿مَوْلُودٌ﴾بملاصَقةِ النَّفيِ، وفي ﴿وَالِدٌ﴾بسياق النَّفي...(٤).

وقال البقاعي(ت٨٨٥هـ):"... قولـه:﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ﴾مؤكـد لعظـم الخطب...، وكرر الفعل والتأكيد إشارة إلى أن ما لهم من الألـف بالحاضـر

(١) زاد المسير(٤٣٦/٣).
(٢) تاج العروس (غ ر ر).
(٣) الكشاف (٥٠٤/٣).
(٤) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب(٣١٩/١٢).

مُعم لهم عما فيه من الزور، والخداع الظاهر والغرور، فقال مظهراً غير مضمر لأجل زيادةً التنبيه والتحذير: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم﴾..."[1].

وكذا **سياق الموقف** يقتضي التوكيد، فـ" السبب في مجيئه على هذا السنن: أنّ الخطاب للمؤمنين وعليتهم: قبض آباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلي، فأريد حسم أطماعهم وأطماع الناس فيهم: أن ينفعوا آباءهم في الآخرة، وأن يشفعوا لهم، وأن يغنوا عنهم من الله شيئا، فلذلك جيء به على الطريق الآكد،. ومعنى التوكيد في لفظ المولود: أن الواحد منهم لو شفع للأب الأدنى الذي ولد منه، لم تقبل شفاعته، فضلا أن يشفع لمن فوقه من أجداده؛ لأنّ الولد يقع على الولد وولد الولد، بخلاف المولود فإنه لمن ولد منك"[2].

وفي سورة فاطر" وعظنا ــ عز وجل ــ بأنه كما علمتم عدوّكم الذي لا عدوّ أعرق في العداوة منه، وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله ﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾في عقائدكم وأفعالكم، ولا يوجدن منكم إلا ما يدل على معاداته ومناصبته في سركم وجهركم"[3]، ومعنى" (وأنتم تعامِلونه) أي: نَزَّلَ العالِمَ منزلةَ الجاهلِ، وذلك بأنْ خاطبَ الناسَ بقولِه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾مع أنهم لا يشكُّون فيه، وأدخَل على الجملةِ حرْفَ التحقيقِ مع أنَّهم مُقِرُّون بذلك ولا يُنكرونه؛ لعَدمِ جَرْيهم على مُوجِبِ العلم، وتَماديهم في اتباعِ خُطُواتِ الشيطان"[4].

قال البقاعي(ت٨٨٥هـ):" ولما كانوا ينكرون البعث أكد قوله:﴿ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾أي الذي له صفات الكمال وهو منزه عن كل شائبة نقص، فهو لا يجوز

(١) نظم الدرر(٢١٣/١٥).
(٢) الكشاف (٥٠٤/٣).
(٣) الكشاف (٥٩٩/٣).
(٤) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب(٦٠٧/١٢).

عليه في مجاري العادات للغنى المطلق أن يخلف الميعاد ﴿حَقٌّ﴾ يَٰٓأَيُّهَا..، ثم سبب عن كونه حقاً قوله على وجه التأكيد لأجل الإنكار أيضاً: ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ﴾أي بأنواع الخدع من اللهو والزينة غروراً مستمر التجدد... واستأنف قوله مظهراً في موضع الإضمار للتنفير بمدلول الوصف قبل التذكير بالعداوة ووخامة العاقبة فيما يدعو إليه مؤكداً لأن أفعال المشايعين له بما يمنيهم به من نحو: إن ربكم حليم، لا يتعاظمه ذنب، مع الإصرار على المعصية أفعال المتعقدين لمصادقته: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾أي المحترق بالغضب البعيد من الخير" [١].

ـ **والسياق الصرفي** – **أيضا – دال على التوكيد**، فـ " ﴿ٱلۡغَرُورُ﴾على وزن الفَعول، وفَعول من أسماء المبالغة، يقال: فلان أَكُول: إذا كان كثير الأكل، وضَروب: إذا كان كثير الضَّرْب، فقيل للشيطان غَرور، لأنه يَغُرُّ كثيراً" [٢]، فـ " ﴿ٱلۡغَرُورُ﴾أي: الكثير الغرور المبالغ فيه، وهو الشيطان الذي لا أحقر منه، لما جمع من البعد والطرد والاحتراق مع عداوته بما يزين لكم من أمرها، ويلهيكم به من تعظيم قدرها" [٣].

(١) نظم الدرر(١١/١٦).
(٢) زاد المسير(٤٣٦/٣).
(٣) نظم الدرر(٢١٣/١٥).

الموضعان الرابع والخامس:

قال تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ [الزخرف:٤٢]

يقول أبو عبد الله البخاري(ق٧هـ) في دلالة قراءة الخفيف:" قوله ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾ آيتان، في كل واحدة منهما شرط وجزاء، عُطف الثانية على الأولى، وصارتا في حكم آية واحدة، لعطف المتفقتين فاحتيجتا إلى القصر والتخفيف"(١).

وقد ورد الفعل الأول في ثلاث صور:

الأولى: ما ورد بنوني التوكيد الخفيفة والثقيلة، وذلك في موضع سورة الزخرف.

والثانية: غير مؤكد، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ الَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾[هود:١١٤] فقوله ﴿يُذْهِبْنَ﴾مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة، والنون فاعل.

والثالثة: مؤكد بنون التوكيد الثقيلة، وذلك في قوله تعالى:﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾[الإسراء:٨٦] وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج:١٥]

كما ورد نظير لفظي للفعل الثاني في الآية الكريمة مؤكدا بنون التوكيد الثقيلة – أيضا –، وذلك في قوله تعالى:﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾[يونس:٤٦] وقوله تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ

(١) الشفاء في علل القراءات (١/٣٤٤).

ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾[الرعد:٤٠] وقوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾[غافر:٧٧]

ونلاحظ في سياق المختلف قرائيا والمتفق ما يأتي:

ــ السياق اللفظي في المتفق عليه يقتضي التثقيل بين المتعاطفين:

﴿نُرِيَنَّكَ﴾و ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾؛ حيث إن الثاني وارد بالتشديد فاقتضت المشاكلة أن يكون الأول بالتشديد ــ أيضا ــ،" وهذا أشبه بما عليه كلامهم،... يطلبون المشاكلة، ويلزمونها"(١)، فـ"المشاكلة... من فصيح الكلام"(٢)، وكذا الموضع المختلف فيه يتشاكل الفعلان تخفيفا وتشديدا.

ــ قِيلَ: جَوَابُ﴿ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ــ في المتفق عليه ــ مَحْذُوفٌ لِدَلَالَةِ الْمَعْنَى عَلَيْهِ، أَيْ فَيُقِرُّ عَيْنَكَ، وأما قَوْلُهُ: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴾ [الزخرف:٤٢]، فصرَّحَ بِجَوَابِ الشَّرْطَيْنِ (٣).

ــ **السياق اللفظي لمواضع المتفق قرائيا** سياق تأكيد، فـ" تَأْكِيدُ الشَّرْطِ بِنُونِ التَّوْكِيدِ وَ(مَا) الْمَزِيدَةِ بَعْدَ (إِنْ) الشَّرْطِيَّةِ مُرَادٌ مِنْهُ تَأْكِيدُ الرَّبْطِ بَيْنَ هَذَا الشَّرْطِ وَجَوَابِهِ، عَلَى أَنَّ نُونَ التَّوْكِيدِ لَا يَقْتَرِنُ بِهَا فِعْلُ الشَّرْطِ إِلَّا إِذَا زِيدَتْ (مَا) بَعْدَ (إِنْ) الشَّرْطِيَّةِ فَتَكُونُ إِرَادَةُ التَّأْكِيدِ مُقْتَضِيَةً لِاجْتِلَابِ مُؤَكِّدَيْنِ، فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا لِغَرَضِ تَأْكِيدٍ قَوِيٍّ(٤)، يقول أبو السعود (ت٩٨٢هـ):" (مَا) مزيدةٌ لتأكيدِ معنى الشرط، ومن ثمة أُكد الفعلُ بالنون"(٥).

---

(١) الحجة لأبي علي(٢/٤٦٤).

(٢) الكشاف(١/٦٩٤).

(٣) البحر المحيط(٩/٢٧٤) وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ﴿ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ جَوَابًا لِلْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ وَالْمَعْطُوفِ؛ لِأَنَّ تَرْكِيبَ﴿ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾بَعْضَ الْمَوْعُودِ فِي حَيَاتِكَ،﴿ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ لَيْسَ بِظَاهِرٍ، وَهُوَ يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ جَوَابَ،﴿ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: أَيْ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ، فَنَنْتَقِمُ مِنْهُمْ وَنُعَذِّبُهُمْ لِكَوْنِهِمْ لَمْ يَتَّبِعُوكَ.

(٤) التحرير والتنوير(١٣/١٦٩).

(٥) إرشاد العقل السليم(٤/١٥٠) (٥/٢٧)..

ـ **الدلالة المعجمية للفعل في المتفق قرائيا دلالة تقتضي التثقل**، يقول البقاعي(ت٨٨٥هـ):" ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾أي إراءة عظيمة قبل وفاتك[١].

ـــ قوله في الزخرف ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ [الزخرف:٤٢] أبلغ لأنها اقتضت رؤية بعض عذابهم وهو ما ينزل بهم في الدنيا، قبل وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم – ومعنى الآية: إما نرينك بعض ما ينزل بهم، أو نتوفاك قبل رؤيتك ذلك، وفي هذا كمال التسلية للنبي– صلى الله عليه وسلم – وكان بعضهم يقول إن الوعد بالإحسان أو بالنصرة على الأعداء من السلطان، والرجل ذو الهيئة ليس في الوعد كمن دونه؛ لأن الأول يحصل منه كمال الطمأنينة والركون، وفي الآية سؤال وهو ما الحكمة في تأكيد الفعلين بالنون من أن أحدهم محقق الوقوع لَا شك فيه، ؟ الجواب: إن التأكيد راجع للخبر لَا للشرط...[٢].

ـ **جاءت آية في سورة الرعد في سياق** أنه:"... -سبحانه ـ يفعل ما يشاء من تقديم وتأخير ومحو وإثبات، وكان من مقترحاتهم وطلباتهم استهزاء استعجال السيئة مما توعدوا به، وكانت النفس ربما تمنت وقوع ذلك للبعض وإثباته ليؤمن غيره تقريباً لفصل النزاع، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ﴾ أكده لتأكيد الإعلام بأنه لا حرج عليه في ضلالة من ضل بعد إبلاغه، نفياً لما يحمله عليه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –ـ شدة رحمته لهم وشفقته عليهم من ظن أنه عليه أن يردهم إلى الحق حتماً" [٣]، وجاءت آية سورة غافر في سياق

---

(١) نظم الدرر(١٣٢/٩)﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ أي في الدنيا بما لنا من العظمة فهو أقر لعينك {أو نتوفينك} قبل ذلك {فإلينا مرجعهم} فنريك فيما هنالك ما هو أقر لعينك وأسر لقلبك، فالآية من الاحتباك: ذكر أولاً الإراءة دليلاً على حذفها ثانياً، والوفاة ثانياً دليلاً على حذفها أولاً.

(٢) تفسير ابن عرفة(٤٣٥/٢).

(٣) نظم الدرر(٣٦٤/١٠).

موضع سورة غافر:" إنكارهم لنصرته عليهم ولبعثهم" [١]، فأكده بـــ ﴿مَّا﴾ والنون ونون العظمة.

وأما المضارع (يذهب)، ففي موضع التنوع القرائي، جاءت قراءة التشديد " لأن أفعالهم أفعال من ينكر قدرته[٢]، وسياق الآية دال على التوكيد ــ أيضا ــ فـ ﴿مَّا﴾صلةٌ " للتأكيدِ بمنزلةِ لام القسمِ في أنَّها لا تفارقُ النونَ المؤكدة" [٣]، وكذا الإتيان بنون العظمة، وصيغة الافتعال [٤]، وَالجُمْلَة الاسمية في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾﴾" وَإِنَّمَا صِيغَ كَذَلِكَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى ثَبَاتِ الِانْتِقَامِ وَدَوَامِهِ"[٥].

والذَّهَابُ بِهِ في موضع التنوع القرائي مُسْتَعْمَلٌ لِلتَّوَفِّي، بِقَرِينَةِ قَوْلِهِ: ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾؛لِأَنَّ الْمَوْتَ مُفَارَقَةٌ لِلْأَحْيَاءِ فَالْإِمَاتَةُ كَالِانْتِقَالِ بِهِ، أَيْ تَغْيِيبِهِ وَلِذَلِكَ يُعَبَّرُ عَنِ الْمَوْتِ بِالِانْتِقَالِ[٦]، وأما عدم التأكيد في موضع سورة هود: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾[هود:١١٤] فللدلالة على:

ــ إِذْهَاب السَّيِّئَاتِ يَشْمَلُ إِذْهَابَ وُقُوعِهَا بِأَنْ يَصِيرَ انْسِيَاقُ النَّفْسِ إِلَى تَرْكِ السَّيِّئَاتِ سَهْلًا وَهَيِّنًا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[العنكبوت: ٤٥] وَيَكُونُ هَذَا مِنْ خَصَائِصِ الْحَسَنَاتِ كُلِّهَا.

ــ مَحْوَ إِثْمِ السيئات إِذَا وَقَعَتْ، وَيَكُونُ هَذَا مِنْ خَصَائِصِ الْحَسَنَاتِ كُلِّهَا فَضْلًا مِنَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ.

---

(١) نظم الدرر(١١٩/١٧).
(٢) نظم الدرر (٤٣٤/١٧).
(٣) إرشاد العقل السليم(٤٨/٨).
(٤) نظم الدرر (٤٣٤/١٧).
(٥) التحرير والتنوير(٢١٨/٢٥).
(٦) التحرير والتنوير(٢١٧/٢٥).

ــ المراد بالسَّيِّئَاتِ هُنَا الصَّغَائِرِ الَّتِي هِيَ مِنَ اللَّمَمِ، قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النِّسَاء: ٣١] وقال تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النَّجْم: ٣٢] [(١)]، قال البقاعي(ت٨٨٥هـ):" ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ﴾ أي الطاعات كلها الصلاة وغيرها، المبنية على أساس الإيمان ﴿يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي الصغائر، وأما الكبائر التي يعبر عنها بالفواحش ونحوه... لا يكفرها إلا التوبة لما فيها من الإشعار بالتهاون بالدين، واجتنابها لا يكفر إلا إذا كان عن نية صالحة كما أفهمه صيغة الافتعال من قوله ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ﴾[النساء: ٣٠] "[(٢)].

وأما التوكيد في موضع سورة الحج: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾[الحج:١٥] فسياقها سياق توكيد، يقول أبو السعود العمادي(ت٩٨٢هـ):" ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾تحقيقاً لها وتقريراً لثبوتها على أبلغِ وجهٍ وآكدِه، وفيه إيجازٌ بارعٌ واختصارٌ رائعٌ، والمعنى أنَّه تعالى ناصرٌ لرسوله في الدنيا والآخرة لا محالة من غير صارف يلويه، ولا عاطفٍ يَثنيه، فمن كانَ يغيظُه ذلك من أعاديهِ وحُسَّادِه، ويظنُّ أنْ لَنْ يفعله تعالى بسببِ مدافعتِه ببعضِ الأمورِ ومباشرة ما يردُّه من المكايد فليبالغْ في استفراغِ المجهودِ وليجاوزْ في الجِد كلَّ حدَ معهودٍ، فقُصارى أمرِه وعاقبةِ مكرِه أنْ يختنقَ حنقاً ممَّا يرى من ضلالِ مساعيهِ، وعدمِ إنتاجِ مقدِّماتِه ومباديهِ"[(٣)].

❁❁❁❁❁

(١) التحرير والتنوير(١٢/١٨٠).
(٢) نظم الدرر(٩/٣٩٥).
(٣) إرشاد العقل السليم(٦/٩٩).

المطلب الثاني: المضارع المقرون بالفاء أو الواو الوارد بعد جواب الشرط

الضابط : " إذا انقضت جملتا الشرط والجزاء، ثم جئت بمضارع مقرون بالفاء أو الواو؛ فلك جزمه بالعطف، ورفعه على الاستئناف، ونصبه بأن مضمرة وجوبًا وهو قليل"؛ قال ابن مالك:

والفِعْلُ مِن بعْدِ الجزَا إن يَقْتَرِنْ بالْفَا أو الواوِ بتثليثٍ قَمِنْ(١)

قال الفراء(ت٢٠٧هـ):" وإذا عطفت على جواب الجزاء جاز الرفع والنصب والجزم"(٢)، وذكر المبرد (ت: ٢٨٥هـ) أن" الْجَزْمَ هُوَ أَجودهَا، ويليه الرّفْع، ثمَّ النصب" (٣)، وقال ابن مالك:" (ت: ٦٧٢هـ):" الشرط إذا عطف على جوابه المقرون بالفاء مضارع فالوجه رفعه، كقوله تعالى: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [البقرة:٢٧١]؛لأن الكلام الذي بعد الفاء أجرى مجراه في غير الجزاء، فحق

---

(١) ألفية ابن مالك في النحو والتصريف(البيت٧٠٣)

= وأما إذا توسط المضارع المقرون بالفاء أو بالواو بين الجملتين فالوجه الجزم، ويجوز النصب، قال ابن مالك:

وجَزْمٌ اوْ نَصْبٌ لفعلٍ اثْرَ فَا أو واوٍ ان بالجملتين اكْتُنِفَا

أي: إذا وقع بين فعل الشرط والجزاء فعل مضارع مقرون بالفاء أو الواو جاز نصبه وجزمه، نحو (إن يقمْ زيد ويخرج خالد أكرمْك) بجزم (يخرج) ونصبه، وامتنع الرفع؛ إذ لا يصح الاستئناف قبل الجواب. ولغة القرآن في ذلك الجزم، ولم ترد قراءة متواترة بالنصب في المواضع التي توسط فيها المضارع المقرون بالفاء أو بالواو بين الشرط والجواب، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦] ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [البقرة:٢٧١] ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران:١٢٠] ﴿إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم﴾ [آل عمران:١٢٥] ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران:١٨٦] ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٧٩]

(٢) معاني القرآن للفراء(٢٠٦/١).

(٣) المقتضب(٦٧/٢).

ما عطف عليه أن يكون كذلك، ويجوز فيه النصب بإضمار (أنْ)، والجزم أيضا بالعطف على موضع الفاء، كقراءة بعضهم: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف:١٨٦] (١)، ويرى ابن هشام (ت: ٧٦١هـ) أن" النّصب بإضمار أَن، وَهُوَ ضَعِيف" (٢).

ومن أقوال هؤلاء اللغويين ظهر لنا بعد توثيق هذا الضابط اللغوي أنهم اتفقوا على أن الجزم هو الوجه المقدم، يليه الرفع، واختلفوا في وصف النصب بين وصفه بالقلة أو بالضعف، ومنهم من أجازه، وسيظهر من خلال البحث أن النصب ما يجب أن يوصف بالضعف؛ لأن القراءات المتواترة وردت به، فهي حجة على من وصف النصب بذلك.

وحين نطبق هذه القاعدة في القرآن وقراءته المتواترة، نجد أن المضارع المقرون بالفاء أو الواو بعد جواب الشرط جاء على أربع صور:

الأول: ما قرئ بالرفع والجزم:

١ ــ قال تعالى:﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾[البقرة:٢٧١]، قرأ ابن عامر وحفص﴿وَيُكَفِّرُ﴾ بالياء، والباقون بالنون، وقرأ المدنيان وحمزة والكسائي وخلف بالجزم، والباقون بالرفع(٣)، فالرفع من وجوه:

الأول: أن يجعله خبرَ مبتدأ محذوف، تقديره: ونحن نكفر. **الثاني:** أَنْ يَكُونَ عَطْفًا عَلَى مَحَلِّ مَا بَعْدَ الْفَاءِ. **الثالث:** أن تستأنف الكلام وتقطعه مما قبله، ولا تجعل العاطف للإشراك، ولكن لعطف جملةٍ على جملةٍ، ومن هذا

(١) شرح التسهيل: لابن مالك(٤/٤٧) وسيأتي توثيق القراءة.
(٢) شرح شذور الذهب(٤٥٤).
(٣) تقريب النشر (٢/٤٧٧).

القبيل قوله: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ﴾[المرسلات:١٧] هو عطف جملة مستأنفة على معنى: نحن نفعل ذلك.

ووجه الجزم: أن يُحْمَلَ الكلام على موضع قوله:﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ وموضِعُه جَزْمٌ، ألا ترى أنه لو قال: وإن تخفوها تكن أعظم لأجركم، لجزم، فقد علمتَ أن قولَه: ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾في موضع جزم، ومثله في الحمل على الموضع: قراءة من قرأ: ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٦]، بالجزم (١) (٢).

ويناظر هذا الموضع تركيبيا موضع آخر لم تتنوع فيه القراءات المتواترة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [الأنفال:٢٩] (٣)، فقوله﴿ وَيُكَفِّرْ﴾معطوف على جواب الشرط بالواو كموضع سورة البقرة إلا أن القراءات المتواترة على جزمه، **فما دلالة التنوع القرائي في سورة البقرة وعدمه في موضع سورة الأنفال، والصورة التركيبية واحدة؟**

ــ إن موضع سورة الأنفال فيه دلالة على تعليق تكفير السيئات على تقوى الله تعالى، وهذا ما أشار إليه البقاعي(ت٨٨٥هـ) في قوله:" ولما كان الإنسان محل النقصان فلا يخلو من زلة أو هفوة، أشار إلى ذلك بقوله: ﴿

(١) قراءة متواترة قرأ بها حمزة والكسائي وخلف (تقريب النشر ٥٢٧/٢).

(٢)التفسير البسيط(٤٤٢/٤) و مفاتيح الغيب(٦٤/٧) والبحر المحيط(٦٩٢/٢) وإرشاد العقل السليم (٢٦٤/١) والحجة لأبي علي (٤٠٠/٢) والحجة لابن خالويه (١٠٢) وحجة القراءات (١٤٧) والكشف لمكي (٣١٧/١) والمختار في معاني قراءات أهل الأمصار (١٢٣/١)

= قال سيبويه: والرفع ها هنا الْوَجْهُ وَهُوَ الْجَيِّدُ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ الَّذِي بَعْدَ الْفَاءِ يَجْرِي مَجْرَاهُ فِي غَيْرِ الْجَزَاءِ، وَأَجَازَ الْجَزْمَ بِحَمْلِهِ عَلَى الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ يَكُنْ خَيْرًا لَكُمْ وَنُكَفِّرْ عَنْكُمْ (الجامع لأحكام القرآن٣٣٦/٣).

(٣) كما تتفق القراءات المتواترة على الياء في فعل ﴿وَيُكَفِّرْ﴾.

﴿وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ أي يسترها ما دمتم على التقوى ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ أي يمحو ما كان منكم غير صالح عيناً وأثراً "[1].

ــ والسياق القرآني يشهد لذلك، حيث يعلق القرآنُ مغفرةَ الذنوب على تقوى الله، قال تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[الأحزاب:٧١]، وقال تعالى: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [نوح:٤]، وقال تعالى:﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق:٥]، وغيرها من الآيات المتضمنة هذا المعنى.

وبهذا تكون القراءات المتواترة أسهمت باتفاقها في هذا الموضع على مكانة وخطورة التقوى، حيث كانت شرطا في تكفير السيئات ومغفرة الذنوب، والتقوى لا تتوقف على غني أو فقير.

أما آية سورة البقرة فمن رحمة الله أنه لم تقتصر القراءات المتواترة على الجزم؛ حيث إن ذلك دالٌ على أن تكفير السيئات مشروط بإعطاء الصدقات؛ ولا يملكها الجميع، ويحمل هذا التنوع القرائي دلالات، منها:

١ ــ أن إخفاء الصدقات سبب من أسباب تكفير السيئات، ويكون الضمير في قوله ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ــ بالياء والجزم ــ " عَائِدٌ عَلَى الْمَصْدَرِ الْمَفْهُومِ مِنْ قَوْلِهِ ﴿وَإِن تُخْفُوهَا﴾ "[2]، أَيْ: وَيُكَفِّرُ إخْفَاء الصَّدَقَاتِ، وَنُسِبَ التَّكْفِير إلَى الإخفاء عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ؛ لِأَنَّهُ سَبَبُ التَّكْفِيرِ.

---

(١) نظم الدرر(٨/٢٦٥)، وفيه تنبيه لهم على أن السادات على خطر عظيم لأنهم مأمورون بالمساواة بين الناس، والنفس مجبولة على ترجيح من لاءمها على من نافرها، وإشارة إلى أن الحكم بالعدل في أعلى الدرجات لا يتسنمه إلا الفرد النادر.

(٢) البحر المحيط(٢/٦٩٠). وَظَاهِرُ الْآيَةِ: أَنَّ إخْفَاءَ الصَّدَقَاتِ عَلَى الْإِطْلَاقِ أَفْضَلُ، سَوَاءٌ كَانَتْ فرضا أو نفلا، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ أَفْضَلَ لِبُعْدِ الْمُتَصَدِّقِ فِيهَا عَنِ الرِّيَاءِ وَالْمَنِّ وَالْأَذَى، وَلَوْ لَمْ يُعْلِمِ الْفَقِيرَ بِنَفْسِهِ، وَأَخْفَى عَنْهُ الصَّدَقَةَ أَنْ يَعْرِفَ، كَانَ أَحْسَنَ وَأَجْمَلَ بِخُلُوصِ النِّيَّةِ فِي ذَلِكَ" البحر المحيط(٢/٦٩١).

٢ - أن الصدقات ــ عموما ــ سبب من أسباب تكفير السيئات، وهذا ما أشارت إليه القراءة الشاذة **(وَتُكَفِّرْ)** ــ بِالتَّاءِ وَكَسْرِ الْفَاءِ وَجَزْمِ الرَّاءِ ــ [١].

٣ــ أن سياق الآيات ناطق بمكانة الإنفاق، قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٦١]

٤ ــ أن الله ــ تبارك وتعالى ــ هو المُكفِّر الحقيقي للسيئات بما أشارت إليه قراءة الرفع سواء كانت بالياء أم بالنون، فالله يغفر للمؤمن بعفوه وفضله، والسياق القرآني يشهد لذلك، يقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٤ لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾[الفتح:٥]

٥ــ قراءة الياء بالجزم تتوافق مع السياق السابق في قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [البقرة:٢٦٨]، فَالْمَغْفِرَةُ إِشَارَةٌ إِلَى مَنَافِعِ الْآخِرَةِ، وَالْفَضْلُ إِشَارَةٌ إِلَى مَا يَحْصُلُ فِي الدُّنْيَا[٢]، وقراءة الياء رفعا تتوافق مع السياق اللاحق، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ ٢٧١ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾[البقرة:٢٧٢]، فَقَوْلُهُ ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ يَكُونُ أَشْبَهَ بِمَا بَعْدَهُ.

---

(١) نسبت لابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ وشهر بن حوشب، والصرصري عن أبي بكر (المغني في القراءات ١/٥٤٦).

(٢) مفاتيح الغيب(٧/٥٦).

٦ ــ قراءة النون تتوافق مع السياق القرآني، قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء:٣١]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت:٧].

٧ ــ قراءة الرفع تتوافق مع دلالة قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٢٦٢] وقراءة الجزم تتوافق مع دلالة قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٢٧٤]؛ حيث دَخَلَتِ الْفَاءُ فِي﴿ فَلَهُمْ ﴾، لِتَضَمُّنِ الْمَوْصُولِ مَعْنَى اسْمِ الشَّرْطِ لِعُمُومِهِ[١]، فـ" ﴿ٱلَّذِينَ﴾ رُفِعَ بِالِابْتِدَاءِ، وَجَازَ أَنْ تَكُونَ الْفَاءُ مِنْ قَوْلِهِ ﴿ فَلَهُمْ ﴾جَوَابَ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ؛ لِأَنَّهَا تَأْتِي بِمَعْنَى الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ، فَكَانَ التَّقْدِيرُ: مَنْ أَنْفَقَ فَلَا يَضِيعُ أَجْرُهُ، وَتَقْدِيرُهُ أَنَّهُ لَوْ قَالَ: الَّذِي أَكْرَمَنِي لَهُ دِرْهَمٌ لَمْ يُفِدْ أَنَّ الدِّرْهَمَ بِسَبَبِ الْإِكْرَامِ، أَمَّا لَوْ قَالَ: الَّذِي أَكْرَمَنِي فَلَهُ دِرْهَمٌ يُفِيدُ أَنَّ الدِّرْهَمَ بِسَبَبِ الْإِكْرَامِ، فَهَهُنَا الْفَاءُ دَلَّتْ عَلَى أَنَّ حُصُولَ الْأَجْرِ إِنَّمَا كَانَ بِسَبَبِ الْإِنْفَاقِ" [٢]

قال الزمخشري(ت٥٣٨هـ):" فإن قلت: أي فرق بين قوله:﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾، وقوله فيما بعد:﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾؟ قلت: الموصول لم يضمن هاهنا معنى الشرط، وضمنه ثمة، والفرق بينهما من جهة المعنى أنّ الفاء فيها دلالة على أنّ الإنفاق به استحق الأجر، وطرحها عار عن تلك الدلالة" [٣]، ولعله لم

(١) البحر المحيط(٢/٧٠٢).
(٢) مفاتيح الغيب(٧/٧١).
(٣) الكشاف (١/٣١٢).

يدخل الفاء إيهاماً بأنهم أهل لذلك وإن لم يفعلوا، وكيف بهم إذا فعلوا! وتحقيقه أن في تضمين الكلام معنى الشرط تعليقاً للكلام، وفي عرائه عن ذلك تحقيق للخبر،... وإنما بنيت الجملة الأولى على التحقيق لأمرين:

ــ **أن** هذه الآية واردة في البعث على الإنفاق في سبيل الله لرفع منار المسلمين وإشادة الدين القويم، ومن ثم خص بذكر سبيل الله، وكررها وضعاً للمظهر موضع المضمر إشعاراً بالعلية، بخلافه في الآية الثانية [١].

ــ **أنه"** لما كان الانتهاء عن المن والأذى في بعض الأحوال أشد ما يكون على النفس؛ لما يرى من المنفق عليه من الغض ونحو ذلك، فلا يكاد يسلم منه أحد ابتدأ الجزاء في آيته من غير ربط بالفاء إشارة إلى العفو عما يغلب النفس منه تنزيلاً له منزلة العدم، وإيماء إلى تعظيمه بكونه ابتداء عطية من الملك، ترغيباً في الكف عنه، لأنه منظور إليه في الجملة، وربط الجزاء في هذه إعلاماً بأنه مسبب عن هذه الأحوال، لأن الأفعال أيسر من التروك فحصوله متوقف على حصولها، حثاً على الإتيان بها كلها للسهولة في ذلك، لأن من سمح بالإنفاق لله سبحانه وتعالى استوت عنده فيه الأوقات" [٢].

فإدخال الْفَاء فِي خَبَرِ الْمَوْصُولِ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى تَسَبُّبِ اسْتِحْقَاقِ الْأَجْرِ عَلَى الْإِنْفَاقِ، وكذا الجزم في القراءة التي معنا عطفا على الجزاء المرتبط حصوله بوقوع الشرط، وعدم الفاء دلالة على أن حصول هذا الأجر ليس مرتبطا بالشرط، وهذا ما يتوافق مع قراءة الرفع على الاستئناف.

٨ ــ لعل تنوع القراءتين بين الرفع والجزم؛ للإشارة إلى تنوع كيفية النفقة ووقتها " فأفضلهم المنفق ليلاً سراً، وأنزلهم المنفق نهاراً علانية؛ فهم بذلك أربعة أصناف"[٣].

---

(١) الفتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب(٥١٩/٣).

(٢) نظم الدرر(١٠٧/٤).

(٣) نظم الدرر(١٠٨/٤).

٢ـ قال تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ﴾[البقرة:٢٨٤]: قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَعَاصِمٌ وَأَبُو جَعْفَرٍ يَعْقُوبُ ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ﴾ بِرَفْعِ الرَّاءِ وَالْبَاءِ مِنْهُمَا، وَالْبَاقُونَ بِجَزْمِهَا(١)، وهم وَجْهَانِ فَصِيحَانِ.

أَمَّا الرَّفْعُ فَعَلَى الِاسْتِئْنَافِ، وَالتَّقْدِيرُ: فَهُوَ يَغْفِرُ، وَأَمَّا الْجَزْمُ فَبِالْعَطْفِ عَلَى ﴿يُحَاسِبْكُمْ﴾، قال أبو علي(ت٣٧٧هـ): وجه قول من جزم أنّه أتبعه ما قبله، ولم يقطعه منه وهذا أشبه بما عليه كلامهم، ألا ترى أنّهم يطلبون المشاكلة، ويلزمونها؟(٢).

قال سيبويه(ت١٨٠هـ):"... والرفع ههنا وجه الكلام، وهو الجيِّد؛ لأنَّ الكلام الذي بعد الفاء جرى مجراه في غير الجزاء فجرى الفعل هنا كما كان يجري في غير الجزاء وقد بلغنا أنَّ بعض القرَّاء قرأ: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[الأعراف:١٨٦]؛ وذلك لأنَّه حمل الفعل على موضع الكلام؛ لأنَّ هذا الكلام في موضع يكون جواباً؛ لأن أصل الجزاء الفعل، وفيه تعمل حروف الجزاء؛ ولكنَّهم قد يضعون في موضع الجزاء غيره" (٣).

ودلالة قراءة الجزم تفسير المحاسبة على ما يبديه أو يخفيه المسلم في نفسه، فشمل المغفرة والتعذيب، ودلالة قراءة الرفع على الاستئناف إطلاق المغفرة والتعذيب لله ــ سبحانه وتعالى ــ فهو سبحانه﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[الأنبياء:٢٣]﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[يونس:١٠٧]

---

(١) تقريب النشر (٤٧٧/٢)، وَيَجُوزُ النَّصْبُ، وَلَمْ يُقْرَأْ بِهِ إِلَّا فِي الشَّاذِّ(المغني في القراءات(٥٦٠/١).

(٢) الحجة لأبي علي(٤٦٤/٢) والنَّصْب فِيهِمَا عَلَى إِضْمَارِ (أنْ)، فَيَنْسَبِكُ مِنْهَا مَعَ مَا بَعْدَهَا مَصْدَرٌ مَرْفُوعٌ مَعْطُوفٌ عَلَى مَصْدَرٍ مُتَوَهَّمٍ مِنَ الْحِسَابِ، تَقْدِيرُهُ: يَكُنْ مُحَاسَبَةٌ فَمَغْفِرَةٌ وَتَعْذِيبٌ.(البحر المحيط: ٧٥٢/٢).

(٣) الكتاب لسيبويه(٩٠/٣).

والسياق القرآني يذكر أن مغفرة الذنوب لها أربع صور:

الصورة الأولى: إطلاق المغفرة له ــ سبحانه ــ دون شرط، كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آل عمران:١٢٩]،وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:٤٨]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ﴾ [المائدة:١٨]، يَعْنِي أَنَّهُ لَيْسَ لأَحَدٍ عَلَيْهِ حَقٌّ يُوجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ حَقٌّ يَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يُعَذِّبَهُ، بَلِ الْمُلْكُ لَهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ[1]،وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الزمر:٥٣]

الصورة الثانية: تعليق المغفرة على فعل شرط، كقوله تعالى:﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آل عمران:٣١] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء:١١٠]وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ﴾ [الأنفال:٢٩] وقوله تعالى: ﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾[التغابن:١٧]

الصورة الثالثة: تعليق المغفرة على ترك فعل، كقوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ﴾ [النساء:١٣٧] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ﴾[النساء:١٦٨]﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال:٣٨]

(١) مفاتيح الغيب (٣٢٩/١١)

الصورة الرابعة: مواضع التنوع القرائي، فالرفع استئنافا يتوافق مع الصورة الأولى، والجزم يتوافق مع الصورة الثانية، وستأتي مواضعها قريبا.

٣ـ قال تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[الأعراف:١٨٦]

قَرَأَ الْمَدَنِيَّانِ، وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ بِالنُّونِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْيَاءِ، وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَخَلَفٌ بِجَزْمِ الرَّاءِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِرَفْعِهَا[(١)]، فالرَفْع على الاستئناف، وهو مقطوع مما قبله...، ووجه ذلك فيما يقول سيبويه(ت١٨٠هـ): إنه عطف على موضع الفاء وما بعدها من قوله: ﴿فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾؛ لأن موضع الفاء مع ما بعدها جزم بجواب الشرط، فحمل ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ على الموضع، والموضع جزم، كقول أبي دواد:

فَأَبْلوني بَلِيَّتَكمْ لعلِّي أُصالِحُكم وأسْتدرِجْ نَوَيَّا [(٢)]

حمل (أستدرجْ) على موضع الفاء المحذوفة من قوله: (فلعلي أصالحكم)، والموضع جزم، والحمل على الموضع كثير [(٣)].

وَعَطْفُ جُمْلَةِ: ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ عَلَى جُمْلَةِ: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾ لِلْإِشَارَةِ إِلَى اسْتِمْرَارِ ضَلَالِهِمْ وَانْتِفَاءِ هَدْيِهِمْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ كَمَا وَقَعَ فِي

---

(١) تقريب النشر(٢/٥٢٧).

(٢) البيت من الوافر، وهو لأبي دؤاد الإيادي في ديوانه(ص ٣٥٠)، وقوله: فأبلوني: يقال: أبلاه إذا صنع به جميلا، والبلية: الاسم، وقيل: البلية: الناقة تربط على قبر صاحبها بدون طعام ولا شراب حتى تموت، ونَوَيَّا: يريد (نَوَاي) وهي النية، ونويّ بفتح الواو كهويّ، وأصله: نواي كعصاي قلبت الألف ياء على لغة هذيل، والمراد الوجه الذي يقصد، انظر: (معاني القرآن: للفراء ١/ ٨٨) و(تأويل مشكل القرآن: ص ٥٦)و (الخصائص ١/ ١٧٦، ٢/ ٣٤١، ٤٢٤،).

(٣) التفسير البسيط(٩/٤٩٢) والكشاف (٢/١٣٨) ومفاتيح الغيب(١٥/٤٢٢) والحجة لأبي علي(٤/١٠٩) وحجة القراءات (٣٠٣) والكشف (١/٤٨٥).

الْمَاضِي... وقراءة النُّونِ وَبِالرَّفْعِ، عَلَى أَنَّهُ عَطْفُ جُمْلَةٍ عَلَى جُمْلَةٍ: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾عَلَى طَرِيقَةِ الِالْتِفَاتِ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى التَّكَلُّمِ. (١).

وقراءة الرفع تتوافق مع السياق القرآني السابق في قوله تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[الأعراف:١٧٨]، حيث المقابلة التركيبية لجملة﴿ وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾وقد تمت الجملة، ونظيرها قوله تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[الكهف:١٧]، وقراءة الجزم تتوافق مع السياق السابق في قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾[الأعراف:١٧٥] واللاحق في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾[الأعراف:١٨٣] حيث رتب ــ سبحانه ــ العقوبة على أفعالهم.

وقد ورد نظيران لهذه الآية اتفقت القراءات المتواترة فيهما:

أولهما نظير تركيبي، يعد سياقا لغويا لقراءة الرفع، قال تعالى:﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ **وَنَحْشُرُهُمْ** يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّاۖ ﴾[الإسراء:٩٧] حيث قُرِن الفعل ﴿**وَنَحْشُرُهُمْ**﴾بالواو بعد جواب الشرط، ولم يقرأ إلا بالرفع.

(١) التحرير والتنوير(١٩٩/٩) = والوقف على قوله﴿فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾ وقف حسن عند من قرأ﴿**وَيَذَرُهُمْ**﴾ بالنون والرفع، ومن قرأ بالياء رفعا كان أو جزما، فالوصل أولى(الوقف والابتداء لابن الغزال (٤٢/١)..

وثانيهما النظير اللفظي وقد اتفقت القراءات المتواترة على رفعه ــ أيضا ــ، قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[الأنعام:١١٠]، نعم قرئ في الشواذ بالسكون[١]

٤ــ قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه:١١٢]، قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ (يَخَفْ) بِالْجَزْمِ، وقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالرَّفْعِ[٢]، فَقَوْلُهُ:﴿ فَلَا يَخَافُ﴾فِي مَوْضِعِ جَزْمٍ لِكَوْنِهِ فِي مَوْضِعِ جَوَابِ الشَّرْطِ، وَالتَّقْدِيرُ: فَهُوَ لَا يَخَافُ، أَوْ فَإِنَّهُ لَا يَخَافُ، ونَظِيرُهُ: وَمَنْ ﴿عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾[الْمَائِدَةِ: ٩٥]، وقَرَاءة ابْن كَثِيرٍ:﴿ فَلَا يَخَفْ﴾ عَلَى النَّهْيِ، جَوَابًا لِقَوْلِهِ:﴿وَمَن يَعْمَلْ﴾، وَهُوَ حَسَنٌ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى: فَلْيَأْمَنْ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْخَوْفِ أَمْرٌ بِالْأَمْنِ[٣].

فدلالة قراءة الرفع: أَنَّ الْجُمْلَةَ اسْتِئْنَافٌ غَيْرَ مَقْصُودٍ بِهَا الْجَزَاءُ، كَأَنَّ انْتِفَاءَ خَوْفِهِ أَمْرٌ مُقَرَّرٌ؛ لِأَنَّهُ مُؤْمِنٌ وَيَعْمَلُ الصَّالِحَاتِ، **ودلالة قراءة الجزم**: أَنَّ الْكَلَامَ نَهْيٌ مُسْتَعْمَلٌ فِي الِانْتِفَاءِ[٤]، قال البقاعي(ت٨٨٥هـ):" وعبر بالفاء إشارة إلى قبول الأعمال وجعلها سبباً لذلك الحال فقال:﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾بأن ينسب إليه سوء لم يقترفه؛ لأن الجزاء من جنس العمل، وقراءة ابن كثير بلفظ النهي محققة للمبالغة في النفي" [٥]، وقراءة الْجُمْهُور توَافق قَوْلَهُ تَعَالَى:

---

(١) قراءة الأعمش (المغني في القراءات ٢/٧٩٢)= وخَرَّج أبو البقاء(ت٦١٦هـ) هذا التسكينَ على وجهين: أحدهما: التسكين لتوالي الحركات، والثاني: أنه مجزوم عطفاً على» يؤمنوا والمعنى: جزاء على كفرهم، وأنه لم يذرْهم في طغيانهم بل بَيَّنَ لهم، وهذا الثاني ليس بظاهر (الدر المصون: ٥/١١١).

(٢) النشر في القراءات العشر(٢/٣٢٢)

(٣) مفاتيح الغيب(٢٢/١٠٣) والجامع لأحكام القرآن (١١/٢٤٩)، وكُتِبَتْ فِي الْمُصْحَفِ بِدُونِ أَلِفٍ فَاحْتَمَلَتِ الْقِرَاءَتَيْنِ.

(٤)التحرير والتنوير(١٦/٣١٣)

(٥) نظم الدرر(١٢/٣٤٩)

﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾[طه:١١١] فِي أَنَّ كِلْتَا الْجُمْلَتَيْنِ خَبَرِيَّةٌ، وَقِرَاءَةُ ابْنِ كَثِيرٍ تُفِيدُ عَدَمَ التَّرَدُّدِ فِي حُصُولِ أَمْنِهِ مِنَ الظُّلْمِ وَالْهَضْمِ، أَيْ فِي قِرَاءَةِ الْجُمْهُورِ خُصُوصِيَّةٌ لَفْظِيَّةٌ، وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ كَثِيرٍ خُصُوصِيَّةٌ مَعْنَوِيَّةٌ (١).

وقد ورد نظير تركيبي لهذه الآية الكريمة، لكن لم تختلف فيها القراءات المتواترة، قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾[الجن:١٣] فما دلالة اتفاق القراءات المتواترة على الرفع في هذا الموضع وتنوعها في موضع سورة طه؟

يمكننا استنباط بعض الملامح الدلالية بين الموضع تجيب على هذا السؤال:

ـ سورة الجن تتحدث عن الصالح والطالح من الجن، قال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن:١٥]، وقوله ﴿ فَلَا يَخَافُ﴾ رَفْعًا عَلَى تَقْدِيرِ فَإِنَّهُ لَا يَخَافُ(٢)، أو: فَهُوَ غَيْرُ خَائِفٍ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْكَلَامُ فِي تقدير جملة من المبتدأ والخبر، أدخل الفاء عَلَيْهَا لِتَصِيرَ جَزَاءً لِلشَّرْطِ الَّذِي تَقَدَّمُهَا، وَلَوْلَا ذَاكَ لَقِيلَ: لَا يَخَفْ، " فَإِنْ قِيلَ: أَيُّ فَائِدَةٍ فِي رَفْعِ الْفِعْلِ، وَتَقْدِيرِ مُبْتَدَأٍ قَبْلَهُ حَتَّى يَقَعَ خَبَرًا لَهُ وَوُجُوبِ إِدْخَالِ الْفَاءِ، وكان ذلك كله مستغنى عنه بأن يُقَالَ: لَا يَخَفْ قُلْنَا: الْفَائِدَةُ فِيهِ أَنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: فَهُوَ لَا يَخَافُ، فَكَانَ دَالًّا عَلَى تَحْقِيقِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ نَاجٍ لَا مَحَالَةَ، وَأَنَّهُ هُوَ الْمُخْتَصُّ لِذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ، لِأَنَّ قَوْلَهُ:

---

(١)التحرير والتنوير(٣١٣/١٦) = وَمَعْنَى﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾لَا يَخَافُ جَزَاءَ الظَّالِمِينَ؛ لِأَنَّهُ آمِنٌ مِنْهُ بِإِيمَانِهِ وَعَمَلِهِ الصَّالِحَاتِ، وَالْهَضْمُ: النَّقْصُ، أَيْ لَا يُنْقَصُونَ مِنْ جَزَائِهِمُ الَّذِي وُعِدُوا بِهِ شَيْئًا كَقَوْلِهِ﴿ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴾ [هود: ١٠٩]، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الظُّلْمُ بِمَعْنَى النَّقْصِ الشَّدِيدِ كَمَا فِي قَوْلِهِ﴿ وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ [الْكَهْف: ٣٣]، أَيْ لَا يَخَافُ إِحْبَاطَ عَمَلِهِ، وَعَلَيْهِ يَكُونُ الْهَضْمُ بِمَعْنَى النَّقْصِ الْخَفِيفِ، وَعَطْفُهُ عَلَى الظُّلْمِ عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ احتراس.

(٢)الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٩) وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ وَيَحْيَى وَإِبْرَاهِيمُ (فَلَا يَخَفْ) جَزْمًا عَلَى جَوَابِ الشَّرْطِ وَإِلْغَاءِ الْفَاءِ.

فَهُوَ لَا يَخَافُ مَعْنَاهُ أَنَّ غَيْرَهُ يَكُونُ خَائِفًا" (١)، وسورة طه تحدثت عن الصالح والطالح من الخلق ــ أيضا، حيث يقول الله قبل آية التنوع القرائي: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾، فَالْمُرَادُ بِالْخَيْبَةِ الْحِرْمَانُ، أَيْ حُرِمَ الثَّوَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا، وَالْمُرَادُ بِهِ مَنْ وَافَى بِالظُّلْمِ وَلَمْ يَتُبْ عَنْهُ(٢).

ــ في تنوع القراءات المتواترة في سورة طه مشاكلة قرائية، حيث تنوعت القراءات المتواترة في الفعل نفسه في سورة طه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا **لَّا تَخَٰفُ** دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه:٧٧]، قرأ حمزة ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا﴾ بالجزم وحذف الألف، والباقون بالألف والرفع(٣)، وهذه المشاكلة في المضارع لم ترد في سورة الجن.

ــ لعل وجه النهي في موضع سورة طه ؛ لأن سياق السورة الكريمة كثر فيها نهي موسى ــ عليه السلام ــ عن الخوف، قال تعالى: ﴿قَالَ خُذْهَا **وَلَا تَخَفْ** ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه:٢١] وقال تعالى:﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦] وقال تعالى:﴿قُلْنَا **لَا تَخَفْ** إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه:٦٨] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا **لَّا تَخَٰفُ** دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾[طه:٧٧]، كما يتوافق مع السياق القرآني في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ **لَا تَخَفْ** إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل:١٠] وقال تعالى: ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ

(١) الكشاف (٦٢٨/٤) ومفاتيح الغيب(٦٧١/٣٠)

(٢) مفاتيح الغيب(١٠٣/٢٢)

(٣) تقريب النشر(٣١١/٣٠) ورفعه عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: عَلَى الْحَالِ كَقَوْلِكَ غَيْرُ خَائِفٍ وَلَا خَاشٍ، وَالثَّانِي: عَلَى الِابْتِدَاءِ أَيْ أَنْتَ لَا تَخَافُ، والجزم على أنه جواب الشرط: إن تضرب لا تخف ممن خلفك ولا تخشى غرقا (الجامع في القراءات العشر: ١٦٨)

يُعَقِّبَ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ﴾ [القصص:٣١] وقال تعالى:﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص:٢٥]، وموسى ــ عليه السلام ــ داخل في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا ﴾ [طه:١١٢]، فكانت قراءة النهي على غرار التأكيد الدنيوي له على ألا يخاف.

ـ جواب الشرط في سورة طه مترتب عل أمرين: عمل الصالحات، وأن يكون ذلك العمل حال كونه مؤمنا، أما جواب الشرط في سورة الجن فمترتب على الإيمان فقط، فلعل التنوع القرائي في جواب الشرط لتعدد الشرط، واتحاده في سورة الجن لأن الشرط واحد.

ــ جُمْلَةُ﴿ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْقَوْلِ الْمَحْكِيِّ عَنِ الْجِنِّ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ كَلَامًا مِنَ اللَّهِ مُوَجَّهًا لِلْمُشْرِكِينَ، وَهِيَ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ الْمُتَعَاطِفَتَيْنِ[1]، وهذا الاتفاق القرائي يتوافق مع السياق القرائي في السورة الكريمة، فقد تنوعت القراءات المتواترة في اثني عشر موضعا من حرف التوكيد (إنّ) في السورة الكريمة[2]، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ۝٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطٗا ۝٤ وَأَنَّا ظَنَنَآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾[الجن:٥]، فمن كسر رده على قَوْله ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا﴾[الجن:١]، وأتبع ذَلِك مَا حسن أَن يكون من قَول الْجِنّ...ومن فتح نسق على الموحى به فِي قَوْله ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ﴾ [الجن:١]، أو ردوا جَمِيع مَا فتحُوا على قَوْله ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾[الجن:٢] أي: وآمنا بِكُل ذَلِك، ففتحت (**أن**) لوُقُوع

(١)التحرير والتنوير(٢٩/٢٣٥)
(٢) تقريب النشر(٢/٧٢٨)

الْإِيمَان عَلَيْهَا [1]، فكان جملة ﴿ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ على أنّ المؤمن ناج، مما أُوحيّ إلى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وآمنت به الجن وقالوه.

- وهنا أنوه بشيء، هو أن القائمين على ضبط المصحف الشريف وضعوا علامة (صلى) عند قوله ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾، مما يعني أنهم يرون أن جملة﴿ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾من كلام الجنّ، والفاء رابطة، ولم يخالف في ذلك إلا المصحف الهندي حيث وضع علامة الوقف المطلق(ط) [2]، الذي من مقتضياته " العدول عن الماضي إلى المستقبل، وعكسه"[3]، فالأولى وضع علامة (ج) أو (قلى) لوجود القولين في قائل جملة ﴿ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾،و" العرب قد تستأنف بالفاء كما يستأنفونَ بالواو"[4]

-سياق سورة طه سياق الحديث عن القيامة، يقول تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ ﴾ [طه:١١١]، وسياق سورة الجن سياق الحديث عن الدنيا، يقول تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تُعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ [الجن:١٤]، "وقراءة ابن كثير بلفظ النهي محققة للمبالغة في النفي"[5]، وتُفِيدُ عَدَمَ التَّرَدُّدِ فِي حُصُولِ أَمْنِهِ مِنَ

(١) حجة القراءات(٧٢٧) و نظم الدرر(٤٦٨/٢٠)
(٢)دليل المحتار إلى اختلاف علامات الوقف في مصاحف الأمصار(٤٦٩)
(٣)علل الوقوف (١٢٦/١)
(٤)معاني القرآن للفراء(٢٤١/٢)
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم(٢٥٧٧/١٩٩٤/٤)

الظُّلْمِ وَالْهَضْمِ [١]، وهذا ما يتوافق مع السياق القرآني، قال تعالى جازما بعدم الظلم يوم القيامة: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر:١٧]، وقوله ــ تعالى ــ في الحديث القدسي:" يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ"[٢]، إِنَّهُ ــ تَعَالَى ــ لَمَّا شَرَحَ أَحْوَالَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ خَتَمَ الْكَلَامَ فِيهَا بِشَرْحِ أَحْوَالِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه:١١٢]، يَعْنِي: وَمَنْ يَعْمَلْ شَيْئًا مِنَ الصَّالِحَاتِ، وَالْمُرَادُ بِهِ الْفَرَائِضُ، فَكَانَ عَمَلُهُ مَقْرُونًا بِالْإِيمَانِ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[طه: ٧٥] فَقَوْلُهُ: (فَلَا يَخَفْ) عَلَى النَّهْيِ حَسَنٌ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى: فَلْيَأْمَنْ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْخَوْفِ أَمْرٌ بِالْأَمْنِ، وَالظُّلْمُ هُوَ أَنْ يُعَاقَبَ لَا عَلَى جَرِيمَةٍ، أو يُمْنَعَ مِنَ الثَّوَابِ عَلَى الطَّاعَةِ، وَالْهَضْمُ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ ثَوَابِهِ [٣].

– القطع بعدم خوف المؤمن، يتوافق مع ما قاله الجن بالقطع أيضا، حيث قطعوا بالإيمان بالقرآن عند استماعهم له، فقالوا ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾فكان الجزاء ــ على القول بأن القائل هو الله ــ مقابلا لما قالوا: ﴿ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾.

---

(١)التحرير والتنوير(٣١٣/١٦) = وَمَعْنَى﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾لَا يَخَافُ جَزَاءَ الظَّالِمِينَ؛ لِأَنَّهُ آمِنٌ مِنْهُ بِإِيمَانِهِ وَعَمَلِهِ الصَّالِحَاتِ، وَالْهَضْمُ: النَّقْصُ، أَيْ لَا يُنْقَصُونَ مِنْ جَزَائِهِمُ الَّذِي وُعِدُوا بِهِ شَيْئًا كَقَوْلِهِ﴿ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴾ [هود: ١٠٩]، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الظُّلْمُ بِمَعْنَى النَّقْصِ الشَّدِيدِ كَمَا فِي قَوْلِهِ﴿ وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ [الْكَهْف: ٣٣]، أَيْ لَا يَخَافُ إِحْبَاطَ عَمَلِهِ، وَعَلَيْهِ يَكُونُ الْهَضْمُ بِمَعْنَى النَّقْصِ الْخَفِيفِ، وَعَطْفُهُ عَلَى الظُّلْمِ عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ احتراس.

(٢)دليل المحتار إلى اختلاف علامات الوقف في مصاحف الأمصار(٤٦٩)

(٣) مفاتيح الغيب(١٠٣/٢٢)

-جاء الجواب بالجملة الاسمية في جانب الإيمان، ليتوافق مع السياق اللاحق في السورة نفسها؛ حيث ورد جوابه بالإخبار مؤكدا، قال تعالى:﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[الجن:٢٣].

- رتب الكريم ــ سبحانه وتعالى ــ في موضع سورة الجن على الإيمان به ــ سبحانه ــ عدم الخوف من أمرين: البَخْس والرَّهق، و" البَخْسُ: النَّقْصُ والظُّلْمُ،.. وقَوله تَعَالَى: ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا﴾أَي لَا يُنْقَصُ من ثَوابِ عملِه، ﴿وَلَا رَهَقًا﴾، أَي ظُلْماً" (١)، وَالْبَخْسُ: الْغَبْنُ فِي الْأَجْرِ وَنَحْوِهِ، وَالرَّهَقُ: الْإِهَانَةُ، أَيْ لَا يَخْشَى أَنْ يُبْخَسَ فِي الْجَزَاءِ عَلَى إِيمَانِهِ وَلَا أَنْ يُهَانَ، وَفُهِمَ مِنْهُ أَنَّ مَنْ لَا يُؤْمِنُ يُهَانُ بِالْعَذَابِ(٢)، ويجوز أن يراد: ﴿فَلَا يَخَافُ﴾أن يبخس بل يجزى الجزاء الأوفى، ولا أن ترهقه ذلة، من قوله ــ عز وجل ــ ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾[يونس:٢٧] (٣)، فدلالة الجواب واحدة.

وأما موضع سورة طه فالجزاء يحمل دلالتين: الدلالة الأولى: أن الظلم: أن يأخذ من صاحبه فوق حقه، والهضم: أن يكسر من حق أخيه فلا

---

(١) تاج العروس (ب خ س) " واخْتُلِفَ فِي قولهِ تَعالى:﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾قيلَ: الرَّهقُ، مُحَرَكَة هُوَ السَّفَهُ، وقِيلَ: هُوَ... الخِفةُ والعَرْبَدَةُ ورُكُوبُ الشَّرِّ... وقالَ الفَرّاءُ(ت٢٠٧هـ) فِي قَوْلِه تَعالَى﴿ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ إن الرَّهَقَ هُوَ الظُّلْمُ، وقِيلَ: هُوَ غِشْيانُ المَحارِم، قالَ الأَزْهَرِيُّ(ت٣٧٠هـ): الرَّهَقُ: اسْم من الإِرْهاق، وَهُوَ أَن تَحْمِلَ الإِنْسانَ على مَالا يُطِيقُه، والرَّهَقُ أَيْضاً: الكَذِبُ... والرَّهَقُ أَيْضا: العَجَلَةُ " (تاج العروس: ب خ س).

(٢) التحرير والتنوير(٢٩/٢٣٥)

(٣) الكشاف (٤/٦٢٨) = والفرق أن القصد في نفي الخوف على الوجه الأول، كان لأجل انتفاء سببه، وعلى الثاني لإثبات منافيه، وهي الأعمال الصالحة، ليترتب عليها الجزاء الأوفى، كما دل الأول على أن من حق المؤمن أن لا يُنقص حق أخيه المسلم ولا يظلمه، دل الثاني على أن من حقه أن يعمل الأعمال الصالحة، ويفهم منه أيضاً، أن من لم يُؤمن بربه الذي أنعم عليه وأحسن إليه بالنعم الظاهرة والباطنة، تُجعل أعماله التي حسبها أعمالاً، هباءً منثوراً (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: ١٦/٦٠)

يوفيه له[١]، فمن قدم خيراً وعمل صالحاً فلا يخاف ظلماً أي زيادة في سيئاته، ولا هضماً أي نقصاً في حسناته، وهذا معنى الكلام[٢]، وفرق بعض المفسرين بين الظُّلم والهَضْم، فقال: الظُّلم: منع الحق كلّه، والهضم: منع البعض، وإن كان ظُلْماً أيضاً[٣].

والدلالة الثانية أن المراد بالظلم: الشركُ، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣]، عن ابن عباس(ت٦٨هـ) ــ رضي الله عنهما ــ: خسر من أشرك بالله، والظلم هو الشرك، ولأنه واقعٌ في مقابلة قوله: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾[٤]، ولخطورة الشرك تنوعت القراءات، فقراءة الرفع " أبلغُ من حيث الاستمرار، والأخرى أبلغ؛ لأنها لا تحتمل التردد في الإخبار"[٥]، محققة للمبالغة في النفي [٦]، فالْعُدُول عَنْ تَجْرِيدِ الْفِعْلِ مِنَ الْفَاءِ وَعَنْ جَزْمِهِ لِدَفْعِ إِيهَامِ أَنْ تَكُونَ لَا نَاهِيَةً، فَهَذَا الْعُدُولُ صَرَاحَةٌ فِي إِرَادَةِ الْوَعْدِ دُونَ احْتِمَالِ إِرَادَةِ النَّهْيِ [٧].فلتنوع هذه المعاني تنوعت القراءات على بسيل التوكيد بكل السبل اللغوية.

ــ التأكيد في موضع سورة طه من خلال التنوع القرائي يتوافق مع النظير التركيبي في السورة التالية، سورة الأنبياء، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ [الأنبياء:٩٤]، فجملة الشرط في السياقين واحد: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ

(١) الكشاف(٣/٨٩)
(٢) ملاك التأويل(٢/٣٤١)
(٣) زاد المسير(٣/١٧٧)
(٤) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب(١٠/٢٤٦)
(٥) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب(١٠/٢٤٧)
(٦) نظم الدرر (١٢/٣٤٩)
(٧) التحرير والتنوير(٢٩/٢٣٥)

مُؤْمِنٌ﴾[طه:١١٢]، والجواب في سورة الأنبياء: ﴿فَلَا كُفْرَانَ﴾، ووجه تأكيد الجواب، أن الْمُرَاد نَفْيُ الْجِنْسِ لِيَكُونَ فِي نِهَايَةِ الْمُبَالَغَةِ؛ لِأَنَّ نَفْيَ الْمَاهِيَّةِ يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ جَمِيعِ أَفْرَادِهَا(١)، أي: قيل ﴿فَلَا كُفْرَانَ﴾دون (لا نكْفُر)؛ لأنّ نفي الجنس مستلزم له وأبلغ لعمومه(٢)، وَالْكُفْرَانُ مَصْدَرٌ أَصْلُهُ عَدَمُ الِاعْتِرَافِ بِالْإِحْسَانِ، ضِدُّ الشُّكْرَانِ. وَاسْتُعْمِلَ هُنَا فِي حِرْمَانِ الْجَزَاءِ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ(٣).

٥ــ قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا﴾[الفرقان:١٠] قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ عَامِرٍ وَأَبُو بَكْرٍ ﴿وَيَجْعَل﴾بِرَفْعِ اللَّامِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِجَزْمِهَا(٤)

فمن جزم ﴿وَيَجْعَل﴾عطفه على موضع:﴿ جَعَلَ﴾ ؛ لأن موضع﴿جَعَلَ﴾ جزم بأنه جزاء الشرط، فإذا جزم ﴿وَيَجْعَل﴾حمله على ذلك، وإذ كانوا قد جزموا ما لم يلِه فعل؛ لأنه في موضع جزم كقراءة من قرأ: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٨٦] فالفعل أولى أن يحمل عليه من حيث كان الفعل بالفعل أشبه منه بغير الفعل، وحكم المعطوف أن يكون مناسبًا للمعطوف عليه ومشابهًا له.

ومن رفع قطعه مما قبله واستأنف، والجزاء في هذا النحو موضع استئناف ألا ترى أن الجمل من الابتداء والخبر تقع فيه كقوله: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٨٦] وقوله: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾[البقرة: ٢٧١] (٥).

---

(١) مفاتيح الغيب(١٢/١٨٤)
(٢) حاشية الشهاب(٦/٢٧٢)
(٣) التحرير والتنوير(١٧/١٤٤)
(٤) تقريب النشر (٢/ ٦١٨).
(٥)التفسير البسيط(١٦/٤١٨).

وَبَيْنَ الْقِرَاءَتَيْنِ فَرْقٌ فِي الْمَعْنَى، فَمَنْ جَزَمَ فَالْمَعْنَى: إِنْ شَاءَ يَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا فِي الدُّنْيَا، ، وَمَنْ رَفَعَ اسْتَأْنَفَ، أَيْ: وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا فِي الْآخِرَةِ[١]، وهكذا كان لتنوع الإعراب أثر في دلالة السياق الزمني للمعطوف على جواب الشرط، قال الزجاج(ت٣١١هـ):"ومن رفع فعلى الاستئناف، المعنى: وسَيَجْعَلُ لَكَ قُصُوراً، أي سيعطيك اللَّه في الآخرةِ أكْثَرَ مِمَّا قالوا "[٢]، ولا يبعد أن يكون أشير بالآية الشريفة – وإن كانت في أسلوب الشرط إلى ما فتح عليه ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ من الحدائق التي لم يكن مثلها في بلاد العرب لما فتح الله عليه خيبر ووادي القرى، وتصرف في ذلك بنفسه الشريفة، وأكل منه، وإلى ما فتح على أصحابه من بعده من بلاد فارس والروم ذات القصور والجنان التي لا مثل لها، ولذلك عبر في الجنات بالماضي، وفي القصور بالمضارع، وأتيحوا كنوز كسرى بن هرمز، فإن اللائق بمقام الملوك أن تكون إشاراتهم أوسع من عباراتهم، فإذا ذكروا شيئاً ممكناً على سبيل الفرض كان من إرادتهم إيجاده، ويحبون أن يكتفي منهم بالإيماء، وأن يعتمد على تلويحهم أعظم مما يعتمد على تصريح غيرهم، وأن يعد المفروض منهم بمنزلة المجزوم به من غيرهم، والممكن في كلامهم كالواجب، فما ظنك بملك الملوك القادر على كل شيء! وهو قد صرف سبحانه الخطاب إلى أعلى الناس فهماً، وأغزرهم علماً، وقد أراه سبحانه ما يكون من ذلك من بعده في غزوة الخندق [٣].

وذكر مكي(ت٤٣٧هـ) أن قراءة الرفع" على الاستئناف والقطع، وفيه معنى الحتم، ليس بموقوف على المشيئة، أي: لابد أن يجعل لك يا محمد قصورا، وقرأ الباقون بالجزم، عطفوه على موضع ﴿جَعَلَ﴾ لأنه جواب

(١) مفاتيح الغيب(٤٣٦/٢٤) وينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل(٨٠٩/٢)..
(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥٩/٤).
(٣) نظم الدرر(٣٤٩/١٣).

الشرط في موضع جزم، فيكون ﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾داخلًا في المشيئة، أي: إن شاء الله فعل ذلك بك يا محمد، وهو فاعله بلا شك، ويجوز أن يكونوا قدروه على نية الرفع مثل الأول، لكن أدغموا اللام في اللام، فأسكنوا اللام من ﴿وَيَجْعَل﴾للإدغام لا للجزم، فتكون القراءتان بمعنى الحتم، أن الله فاعل ذلك لمحمد على كل حال"(١).

وقد ورد نظيران لهذا الفعل في مثل هذا التركيب اتفقت القراءات المتواترة على الجزم فيهما، قال تعالى:﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الحديد:٢٨] وقال تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾[نوح:١٢] وهذا ــ كما سبق الإشارة إليه ــ دليلٌ جليٌّ على أن التقوى شرط أصيل لمغفرة الذنوب، ودخول الجنات، وأن ينور اللهُ دنيانا وأخرانا.

٢ ـ ما قرئ بالرفع والنصب:

ــ قال تعالى : ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾[الشورى:٣٥]، الفعل ﴿وَيَعْلَمَ﴾معطوف بالواو على جواب الشرط، وقد

---

(١) الكشف (١٤٤/٢)= وقرئ في الشواذ ﴿وَيَجْعَل﴾بالنصب؛ وذلك بإضمار(أنْ) على جواب الشرطِ، واستضعفها ابنُ جني(ت٣٩٢هـ)، فقال: نصبه على أنه جواب الجزاء بالواو، كقولك: إن تأتني آتك وأُحْسِنَ إليك، وجازت إجابته بالنصب لما لم يكن واجبا إلا بوقوع الشرط من قبله وليس قويا من ذلك، ألا تراه بمعنى قولك: أفعلُ كذا إن شاء الله؟(المحتسب(١١٨/٢) والقراءة نسبت لأبي حيوة، وعبيد الله بن موسى، وطلحة بن سليمان (المغني في القراءات ١٣٥٢/٣).

= ومن قرأ ﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾بالرفع على القطع وقف على قوله ﴿مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ وهو كاف، ومن قرأ بالجزم لم يقف على ذلك لأن ما بعده نسق على ما قبله (ينظر: المكتفى:٤١٤).

قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَالْمَدَنِيَّانِ ﴿وَيَعْلَمَ﴾ بِرَفْعِ الْمِيمِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِنَصْبِهَا [١]، **فوجه الرفع:** "أنه استأنف بالواو؛ لتمام الشرط والجزاء بابتدائه وجوابه" [٢]، كَقَوْلِهِ ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾[التوبة:١٥]ثُمَّ قَالَ: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾[التوبة:١٥] رَفْعًا...، أَوْ عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ ابْتِدَاءٍ مَحْذُوفٍ[٣].

وأما قراءة النصب فمشكلة، أجود ما تحمل عليه:

١ــ ما قاله أبو عبيد(ت٢٢٤هـ)، قال: وكذلك نقرأها بالنصب على الصرف كالتي في آل عمران: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[آل عمران:١٤٢]، ومعنى الصرف أن المعنى كان على جهة فصرف إلى غيرها، فتغير الإعراب لأجل الصرف، وتقديره: أن يقال: كان العطف يقتضي جزم ﴿وَيَعْلَمَ﴾ في الآيتين لو قصد مجرد العطف، وقد قرئ به فيهما شاذًّا[٤]، لكن قصد معنى آخر فتعين له النصب وهو معنى الاجتماع؛ أي: يعلم المجاهدين والصابرين معا؛ أي: يقع الأمران مقترنا أحدهما بالآخر، ومجرد العطف لا يتعين له هذا المعنى بل يحتمله ويحتمل الافتراق في الوجود كقولك: جاء زيد وعمرو يحتمل أنهما جاءا معا، ويحتمل تقدم كل منهما على الآخر، وإذا ذكر بلفظ المفعول معه كان وقوع

(١) تقريب النشر في القراءات العشر(٦٧٧/٢) وقرأ الحسن بكسر الميم(المغني في القراءات:١٦٣٥/٤).

(٢) الحجة لابن خالويه(٣١٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن(٣٤/١٦).

(٤) قرأ بكسر الميم في سورة آل عمران: الحسن، وقتادة، والزعفراني، وطلحة، وابن أبي عبلة، وهارون عن أبي عمرو، وقرأ بالرفع: عبد الوارث عن أبي عمرو، والجحدري، والقورسي عن أبي جعفر، وشبل عن ابن كثير (المغني في القراءات (٦١٢/٢)، وقرأ بكسر الميم في موضع الشورى: الحسن (المغني في القراءات ١٦٣٥/٤)

الفعل منهما معا في حالة واحدة، فكذا النصب في قوله: ﴿وَيَعْلَمَ﴾ أفاد الاجتماع، فلهذا أجمع على النصب في آية آل عمران، قال الزمخشري(ت٥٣٨هـ) فيها: ﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾نصب بإضمار (أنْ) والواو بمعنى الجمع كقولك: لا تأكل السمك وتشرب اللبن[١].

والعبارة عن هذا بالصرف هو تعبير الكوفيين، ومثله: لا يسعني شيء ويضيقَ عنك؛ أي: لا يجتمع الأمران، ولو رفعت الواو للعطف تغير المعنى، فهذا الجمع معنى مقصود وضع النصب دليلا عليه، فكذا النصب في:﴿ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾؛ أي: يقع إهلاكهم والعلم معا مقترنين[٢].

٢ــ وَذَهَبَ الزَّجَّاجُ(ت٣١١هـ) إِلَى أَنَّ الْوَاوَ وَاوُ الْمَعِيَّةِ الَّتِي يُنْصَبُ الْفِعْلُ الْمُضَارِعُ بَعْدَهَا بِ (أَنْ) مُضْمَرَةٍ، قال:" والنصب على إضمار (أن)؛ لأن قبلها جزاء، تقول: ما تصنعْ أصنعْ مثله وأُكْرِمَكَ، وإن شئت قلت وَأُكْرِمُكَ، على: وَأَنا أكرمك، وإن شئت: وَأُكْرِمْكَ جزماً" [٣].

قال الزمخشري(ت٥٣٨هـ):" وأما قول الزجاج: النصب على إضمار أن، لأنّ قبلها جزاء،... ففيه نظر لما أورده سيبويه(ت١٨٠هـ) في كتابه قال: واعلم أنّ النصب بالفاء والواو في قوله: إن تأتني آتك وأعطيك: ضعيف...[٤]، ولا يجوز أن تحمل القراءة المستفيضة على وجه ضعيف ليس

---

(١) الكشاف (٤٢١/١)

(٢) واعتراض النحاس(ت٣٣٨هـ) على أبي عبيد(ت٢٢٤هـ) في تسويته بين الآيتين وقال: ﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾جواب لما فيه النفي فالأولى به النصب (إعراب القرآن للنحاس:٥٨/٤)، وهذا وهم ليس هو بجواب للنفي بل المعنى على ما ذكرناه، ولو كان جوابًا لما ساغت قراءة الحسن بالجزم.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤٠٠/٤).

(٤) الكتاب(٩٢/٣).

بحدّ الكلام ولا وجهه، ولو كانت من هذا الباب لما أخلى سيبويه منها كتابه"[١]، والمراد بالضعيف في مثل هذا الموضع قلة وروده في كلام الفصحاء، ونحن نقول: إذا ورد مثله في كلام الله المجيد فالوجه أن يتمسك به، ويجعل قويًا، فإنه المعيار والمهيمن على جميع الكتب[٢].

٣ــ وذكر الزمخشري(ت٥٣٨هـ) لقراءة النصب وجها آخر فقال: وأما النصب فللعطف على تعليل محذوف تقديره: لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون، ونحوه في العطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن، منه قوله تعالى ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾[مريم:٢١]وقوله تعالى ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الجاثية:٢٢][٣]، ومثله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾[الأنعام:٧٥]، ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾[الأنعام:٩٢]، ولكن كل هذه المواضع ذكر فيها حرف التعليل بعد الواو ولم يذكر في: ﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ﴾ ، وقال ابن القُشَيْري (٤٦٠ – ٥٤٦ هـ): في بعض المصاحف **(وليعلمَ)** باللام[٤]، فهذا يقوي قراءة النصب، ويؤيد الوجه الذي ذهب إليه الزمخشري[٥].

والسؤال: ما التفسير اللغوي لشذوذ النصب في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٨٤]، وتواتره وحده في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا

---

(١) الكشاف(٢٢٧/٤) وقوله:(وليس بحد الكلام ولا وجهه): قيل: أراد بالحد: الجواز، وبالوجه: الحسن، ويمكن أن يراد بالحد: الثابت المقرر والمؤصل، وبالوجه: ما يحمل عليه شيء لمشابهته له.

(٢) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب(٧١/١٤) وينظر: البحر المحيط(٣٤١/٩) و التحرير والتنوير(١٠٧/٢٥).

(٣) الكشاف(٢٢٧/٤) ومفاتيح الغيب(٦٠٣/٢٧).

(٤) حرف عبد الله بن مسعود (المغني في القراءات (١٦٣٥/٤).

(٥) إبراز المعاني (٦٧٥).

﴿يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٢]، وتواتره مع الرفع في قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ [الشورى:٣٥]؟

وأقول: أجمع العشرة على النصب في موضع آل عمران لتعين معنى الاجتماع، أي: يعلم المجاهدين والصابرين معا، أي: يقع الأمران مقترنًا أحدهما بالآخر، والنصب بالواو في هذا المعنى ليس بضعيف بل هو قوي بدليل الإجماع على نصب ما في آل عمران، أما بالفاء فضعيف؛ لأن الفاء لا تفيد ما تفيده الواو من معنى الجمعية فلهذا كانت قراءة من قرأ في آخر البقرة ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ﴾ [البقرة:٢٨٤] بالنصب شاذة(١).

وأما موضع سورة الشورى فقراءة النصب تحمل دلالات منها:

١ــ إن يشاء يسكن الريح فيقع إهلاكهم والعلم معًا مقترنين، يقال" في الفعل المنصوب بعد واو الصرف: أنهم لما قصدوا فيها معنى الجمعية نصبوا المضارع بعدها ليكون الصرف عن سنن الكلام المتقدم مرشداً من أول الأمر أنها ليست للعطف، فهي إذن إما واو الحال، وأكثر دخولها على الاسمية، فالمضارع بعدها في تقدير مبتدأ محذوف الخبر وجوباً، فمعنى قم وأقومَ: قم وقيامي ثابت: أي في حال ثبوت قيامي، وأما بمعنى مع وهي لا تدخل إلا على الاسم، قصدوا ها هنا مصاحبة الفعل للفعل منصوباً ما بعدها، فمعنى قم وأقومَ: قم مع قيامي، كما قصدوا في المفعول معه مصاحبة الاسم للاسم فنصبوا ما بعد الواو، ولو جعلنا الواو عاطفة للمصدر متصيد من الفعل قبله النحاة، أي لم يكن منك قيام وقيام مني، لم يكن فيه نصوصية على معنى

(١) قراءة ابن غزوان عن طلحة، وأبي حيوة، وحميد، والزعفراني، وابن أبي عبلة، وابن عباس (المغني في القراءات ١/٥٦٠).

الجمع، والأولى في قصد النصوصية في شيء على معنى أن يجعل على وجه يكون ظاهراً فيما قصدوا النصوصية عليه"[١].

٢ــ العطف على تعليل محذوف تقديره: لينتقم منهم ويعلمَ الذين يجادلون.

٣ــ من واو الصرف يعرف أن مدخولها مفرد في تأويل المصدر؛ لأن النصب فيها بتقدير (أن) فيكون مبتدأ خبره ما يدل عليه السياق، فالتقدير هنا: وعلمه سبحانه بالمجادلين عند هذا حاصل، والتعبير عنه بالمضارع لإفادة الاستمرار لتجدد تعلق العلم بكل مجادل كلما حصل جدال[٢]

٤ــ يَجُوزُ أَنْ يُجْعَلَ الْخَبَرُ مُسْتَعْمَلًا فِي مُقَارَبَةِ الْمُخْبَرِ بِهِ، كَقَوْلِهِمْ: قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ، فَلَمَّا كَانَ عِلْمُهُمْ بِذَلِكَ يُوشِكُ أَنْ يَحْصُلَ نُزِّلَ مَنْزِلَةَ الْحَاصِلِ فَأُخْبِرَ عَنْهُمْ بِهِ، وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ يَكُونُ إِنْذَارًا بِعِقَابٍ يَحْصُلُ لَهُمْ قَرِيبٍ وَهُوَ عَذَابُ السَّيْفِ وَالْأَسْرِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَذُكِرَ فِعْلُ ﴿ وَيَعْلَمَ﴾ لِلتَّنْوِيهِ وَالِاعْتِنَاءِ بِالْخَبَرِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ [البقرة:٢٢٣]، وَقَوْلِهِ:﴿۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنفال:٤١] [٣].

ودلالة قراءة الرفع:

أــ يحتمل أن يكون الفاعل اسم الموصول، " على أن معناه: وسيعلم الذين يجادلون في آياتنا إذا نزل بهم عذاب الله أن لا منجا منه لا في الدنيا ولا في الآخرة، على أنه لرفع بالابتداء والقطع من الأول"[٤].

---

(١) نظم الدر(٣٢٣/١٧).

(٢) السابق.

(٣) التحرير والتنوير(١٠٧/٢٥) = وَمَنْ قَرَأَ عَلَى جَزْمِ ﴿ وَيَعْلَمَ﴾ فَكَأَنَّهُ قَالَ: أَوْ إِنْ يَشَأْ، يَجْمَعُ بَيْنَ ثَلَاثَةِ أُمُور: هَلَاكِ قَوْمٍ، وَنَجَاةِ قَوْمٍ، وَتَحْذِيرِ آخَرِينَ. إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَنَقُولُ مَعْنَى الْآيَةِ وليعلم الَّذِينَ يُجَادِلُونَ أَيْ يُنَازِعُونَ عَلَى وَجْهِ التَّكْذِيبِ، أَنْ لَا مَخْلَصَ لَهُمْ إِذَا وَقَفَتِ السُّفُنُ، وَإِذَا عَصَفَتِ الرِّيَاحُ فَيَصِيرُ ذَلِكَ سَبَبًا لِاعْتِرَافِهِمْ بِأَنَّ الْإِلَهَ النَّافِعَ الضَّارَّ لَيْسَ إِلَّا اللَّهَ (مفاتيح الغيب: ٦٠٣/٢٧).

(٤) الشفاء في علل القراءات (١١١٤/١).

ب ــ ويحتمل أن يكون الفاعل ضمير اسم الله تعالى، أي: ويعلم الله الذين يجادلون، وعلمه تعالى محقق دائم، قال تعالى:﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا﴾[الفتح:٢٦]﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[الحجرات:١٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة:٧]، وإن شئت جعلته خبر مبتدأ محذوف(١)، أي: وهو يعلم، فيكون تأكيدًا لذكره ــ سبحانه وتعالى ــ مرتين، مبتدأ وفاعلا.

فدلالة الاسْتِئْنَاف أَنَّهُ " كَلَامٌ آنِفٌ لَا ارْتِبَاطَ لَهُ بِمَا قَبْلَهُ، وَذَلِكَ تَهْدِيدٌ لِلْمُشْرِكِينَ بِأَنَّهُمْ لَا مَحِيصَ لَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا قَالَ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ﴾[الشورى:٣٢] صَارَ الْمَعْنَى: وَمِنْ آيَاتِ انْفِرَادِهِ بِالْإِلَهِيَّةِ الْجَوَارِي فِي الْبَحْرِ، وَالْمُشْرِكُونَ يُجَادِلُونَ فِي دَلَائِلِ الْوَحْدَانِيَّةِ بِالْإِعْرَاضِ وَالِانْصِرَافِ عَنْ سَمَاعِهَا فَهَدَّدَهُمُ اللَّهُ بِأَنْ أَعْلَمَهُمْ أَنَّهُمْ لَا مَحِيصَ لَهُمْ، أَيْ مِنْ عَذَابِهِ، فَحَذَفَ مُتَعَلِّقَ الْمَحِيصِ إِيْهَامًا لَهُ تَهْوِيلًا لِلتَّهْدِيدِ لِتَذْهَبَ النَّفْسُ كُلَّ مَذْهَبٍ مُمْكِنٍ فَيَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾خَبَرًا مُرَادًا بِهِ الْإِنْشَاءُ وَالطَّلَبُ فَهُوَ فِي قُوَّةِ: وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ، أَوِ اعْلَمُوا يَا مَنْ يُجَادِلُونَ، وَلَيْسَ خَبَرًا عَنْهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ حَتَّى يَعْلَمُوهُ" (٢).

---

(١) الحجة للقراء السبعة (١٣٠/٦).

(٢) التحرير والتنوير(١٠٧/٢٥) = وهنا نلاحظ أن المضارع ﴿ وَيَعۡلَمَ﴾ في سورة آل عمران جاء بعد مجزوم على صورتين:

- ما قرئ بالرفع ــ فحسب ــ بعد جواب الشرط، وذلك في قوله ــ تعالى ــ ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [آل عمران:٢٩] ودلالته ستأتي بعد قليل.

- ما قرئ بالنصب ــ فحسب ــ بعد الجزم، وذلك في قوله ــ تعالى ــ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(٢)[آل عمران:١٤٢]، فالنَّصْبُ بِإِضْمَارِ أَنْ، وَهَذِهِ الْوَاوُ هِيَ وَاوُ الصَّرْفِ، كَقَوْلِكَ: لَا تَأْكُلِ السَّمَكَ وَتَشْرَبَ اللَّبَنَ، أَيْ لَا تَجْمَعُ بَيْنَهُمَا، وَكَذَا هَاهُنَا الْمُرَادُ أَنَّ دُخُولَ الْجَنَّةِ وَتَرْكَ الْمُصَابَرَةِ عَلَى الْجِهَادِ مِمَّا لَا يَجْتَمِعَانِ، وَحَاصِلُ الْكَلَامِ أَنَّ حُبَّ الدُّنْيَا لَا يَجْتَمِعُ مَعَ سَعَادَةِ الْآخِرَةِ، فَبِقَدْرِ مَا يَزْدَادُ أَحَدُهُمَا يَنْتَقِصُ الْآخَرُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ سَعَادَةَ الدُّنْيَا لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِاشْتِغَالِ الْقَلْبِ بِطَلَبِ الدُّنْيَا، وَالسَّعَادَةُ فِي الْآخِرَةِ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِفَرَاغِ الْقَلْبِ مِنْ كُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ وَامْتِلَائِهِ مِنْ حُبِّ اللَّهِ، وَهَذَانِ الْأَمْرَانِ مِمَّا لَا يَجْتَمِعَانِ، فَلِهَذَا السِّرِّ وَقَعَ الِاسْتِبْعَادُ الشَّدِيدُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنَ اجْتِمَاعِهِمَا، وَأَيْضًا حُبُّ اللَّهِ وَحُبُّ الْآخِرَةِ لَا يَتِمُّ بِالدَّعْوَى (مفاتيح الغيب: ٣٧٥/٩).

٣ ـ ما قرئ بالجزم فقط:

وهذا هو الأجود من حيث الصناعة اللغوية، وفي كلها عُلِّق الجزاء وما عُطف عليه بالشرط، وقد جاءت في سياقات مغفرة الذنوب ورحمته تعالى بعباده مشروطة بتقواه وطاعة أوامره.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[آل عمران:٣١] لما كان من آية حب الله له ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ما أنزل عليه من قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:٢] أجري لمن أحبه الله باتباعه حظ منه في قوله -:﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ أي مطلقاً، وذنب كل عبد بحسبه(١)، وقال تعالى: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾[الأنفال:٢٩]، وقال تعالى: ﴿إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾[الأنفال:٧٠]، وقال تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾[التغابن:١٧] ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ببركةِ الإنفاقِ ما فرَط منكُم من بعضِ الذنوبِ(٢).

٤ ـ ما قرئ بالرفع فقط:

أ ـ قال تعالى:﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[آل عمران:٢٩]

اتفقت القراءات المتواترة على رفع﴿وَيَعْلَمُ﴾(٣)، وفي رفعه دلالتان:

---

(١) نظم الدرر(٤/٣٣٦).

(٢) إرشاد العقل السليم(٨/٢٥٩).

(٣) وروى نُعيم بن ميسرة عن أبي عمرو بنصب الميم، على الصرف، وهي قراءة شاذة (شواذ القرآن واختلاف المصاحف١/١٥٤ والمغني في القراءات٢/٥٧٥).

الأولى: أن جُمْلَة﴿ **وَيَعْلَمُ** مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾مَعْطُوفَةٌ عَلَى جُمْلَةِ الشَّرْطِ، فَهِيَ مَعْمُولَةٌ لِفِعْلِ ﴿قُلْ﴾، وَلَيْسَتْ مَعْطُوفَةً عَلَى جَوَابِ الشَّرْطِ: لِأَنَّ عِلْمَ اللَّهِ بِمَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ثَابِتٌ مُطْلَقًا غَيْرُ مُعَلَّقٍ عَلَى إِخْفَاءِ مَا فِي نُفُوسِهِمْ وَإِبْدَائِهِ، وَمَا فِي الْجُمْلَةِ مِنَ التَّعْمِيمِ يَجْعَلُهَا فِي قُوَّةِ التَّذْيِيلِ، وَقَوْلُهُ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ إِعْلَامٌ بِأَنَّهُ مَعَ الْعِلْمِ ذُو قُدْرَةٍ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَهَذَا مِنَ التَّهْدِيدِ؛ إِذِ الْمُهَدِّدُ لَا يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ تَحْقِيقِ وَعِيدِهِ إِلَّا أَحَدُ أَمْرَيْنِ: الْجَهْلُ بِجَرِيمَةِ الْمُجْرِمِ، أَوِ الْعَجْزُ عَنْهُ، فَلَمَّا أَعْلَمَهُمْ بِعُمُومِ عِلْمِهِ، وَعُمُومِ قُدْرَتِهِ، عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يُفْلِتُهُمْ مِنْ عِقَابِهِ(١).

ويرى البقاعي(ت٨٨٥هـ) أن قوله﴿ **وَيَعْلَمُ** مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ معطوف" على جملة الشرط التي هي مقول القول إرادة التعميم... أي جميع ما في السموات، ولما كان الإنسان مطبوعاً على ظن أنه إذا أخفى شيئاً في نفسه لا يعلمه غيره أكد بإعادة الموصول فقال: **{وما}** أي وجميع ما **{في الأرض}** ظاهراً كان أو باطناً"(٢).

الثانية: رُفِعَ عَلَى الِاسْتِئْنَافِ، فقوله﴿**وَيَعْلَمُ** مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾كَلَامٌ مستأنفٌ غيرُ معطوفٍ على جواب الشرط، وهو من باب إيرادِ العام بعد الخاص؛ تأكيداً له وتقريراً (٣)، وَفِي قَوْلِهِ ﴿**وَيَعْلَمُ** مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾غَايَةُ التَّحْذِيرِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِيهِمَا فَكَيْفَ يَخْفَى عَلَيْهِ الضَّمِيرُ(٤).

(١) التحرير والتنوير(٣/٢٢٢).
(٢) نظم الدرر(٤/٣٢٨).
(٣)إرشاد العقل السليم(٢/٢٣).
(٤) مفاتيح الغيب(٨/١٩٥).

وعلماء الوقف والابتداء على الدلالة الثانية، فالوقف على قوله ﴿ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ ﴾ تام عند ابن الأنباري(ت٣٢٨هـ) والداني(ت٤٤٤هـ) والنكزاوي (ت٦٨٣هـ) وحسن عند ابن الغزال (ت٥١٦هـ) وكاف عند الأشموني[١].

ب ــ قال تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ﴾[الشورى:٢٤]

قوله : ﴿وَيَمۡحُ﴾مضارع مقرون بالواو بعد جواب الشرط، والصنعة النحوية وصورة الفعل يرشحان أن يكون مجزوما، وهذا ما ذهب إليه أَبُو عَلِيّ الجُبَّائِيُّ المُعْتَزِلِيّ(٢٣٥ــ ٣٠٣هـ)، حيث قال:" الواو حذف للجزم، والمعنى: إن افتريت ختم الله على قلبك ومحى الباطل المفترى"[٢].

لكن جمهور العلماء على أن المضارع مرفوع، ولم تختلف القراءات في رفعه، فما الذي جعلهم يقولون هذا ولم يقولوا بجزمه مع جواز ذلك صنعة وصيغة؟

إن السياق اللغوي هو من جعلهم يقولون بأن الفعل مرفوع" ولكنه حُذفت منه الواو في المصحف، كما حُذفت من قوله: ﴿سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق:١٨] ومن قوله: ﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾[الإسراء:١١] وليس بجزم على العطف على ﴿يَخۡتِمۡ﴾ "[٣].

(١) ينظر: الإيضاح(٥٧٤/٢) والمكتفى(١٩٩) والاقتداء في معرفة الوقف والابتداء (٤١٢/١) والوقف والابتداء لابن الغزال (٣٥٢/١) ومتار الهدى (ص٦٠).

(٢)غرائب التفسير وعجائب التأويل(١٠٥٢/٢)

(٣) جامع البيان للطبري(٥٣٢/٢١)

قال الفراء(ت٢٠٧هـ):" وقوله:﴿ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ﴾، ليس بمردود على ﴿يَخۡتِمۡ ﴾، فيكون مجزوما، هو مستأنف في موضع رفع، وإن لم تكن فيه واو في الكتاب"(١).

وقال النحاس(ت٣٣٨هـ):" وقيل معنى ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ﴾إن يشأ الله يربط على قلبك بالصبر على أذاهم، وقولهم ﴿ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾**تم الكلام،** ثم قال ــ جل وعز ــ ﴿وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾ أي يمحو الله الشرك ويزيله"(٢).

قال الزمخشري(ت٥٨٣هـ):" فإن قلت: إن كان قوله﴿ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ﴾ كلاما مبتدأ غير معطوف على ﴿يَخۡتِمۡ ﴾، فما بال الواو ساقطة في الخط؟ قلت: كما سقطت في قوله تعالى ﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾[الإسراء:١١] وقوله تعالى ﴿سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق:١٨] على أنها مثبتة في بعض المصاحف"(٣).

<u>ويتمثل السياق في هذه النقاط:</u>

١ ــ **السياق اللغوي اللاحق المتمثل في** إظهار اسم الجلالة بعد فعل المحو، ولو كان معطوفا لأضمر الفاعل بعد ذكره في الفعل السابق، واقتضى السياق القول: **فإن يشأ الله يختم على قلبك ويمحو الباطل،** قال السجاوندي(ت٥٦٠هـ):"﴿عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾**ط**(٤)؛ لأن ما بعده مستأنف؛ فإن محو الباطل وإحقاق الحق وعدٌ مطلق عن قوله﴿فَإِن يَشَإِ﴾، <u>دليله تكرار اسم الله تعالى</u>"(٥).

---

(١) معاني القرآن للفراء(٢٣/٣)

(٢) معاني القرآن للنحاس(٣١١/٦)

(٣) الكشاف(٢٢٢/٤)

(٤) رمز للوقف المطلق، وهو ما يحسن الابتداء بما بعده، كالاسم المبتدأ به، والفعل المستأنف مع السين...وهكذا (علل الوقوف ١١٦/١)

(٥) علل الوقوف(٩٠٩/٣)

٢ ــ **السياق اللغوي اللاحق المتمثل** في قوله﴿ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ﴾فإنه مقابل لمحو الباطل، وإضمار اسم الجلالة دليل على أنه معطوف على الجملة السابقة، قال الزجاج(ت٣١١هـ):" ويجوز ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَ ﴾يربط على قلبك بالصبر على أذاهم وعلى قولهم ﴿ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ ، ﴿وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ﴾الوقوف عليها **(ويمحوا)** بواو وألف؛ لأن المعنى: واللَّه يمحو الباطل على كل حال، وكتبت في المصحف بغير واو؛ لأن الواو تسقط في اللفظ لالتقاء السَّاكنين، فكتبت على الوصل، ولفظ الواو ثابت، والدليل عليه ﴿ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ﴾،أي ويمحو اللَّه الشرك، ويحق الحق بما أنزله من كتابه على لسان نبيِّهِ ــ عليه السلام ــ"[١].

٣ ــ **السياق القرآني العام المتمثل في آيات دحض الباطل**، قال تعالى: ﴿لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾[الأنفال:٨]، وَإِبْطَالُهُ إِعْدَامُهُ، كَمَا أَنَّ إِحْقَاقَ الْحَقِّ إِظْهَارُهُ[٢]،ومعنى إحقاق الحقِّ إظهارُ حقّيتِه لا جعلُه حقاً بعد أن لم يكن كذلك وكذا حال إبطال الباطل[٣]، وقال تعالى: ﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾ [الإسراء:٨١] أَيْ مُضْمَحِلًّا غَيْرَ ثَابِتٍ فِي كُلِّ وَقْتٍ، "علل زهوقه بقوله: {**إن الباطل كان**} في نفسه بجبلته وطبعه {**زهوقاً**} قضاء قضاه الله تعالى من الأزل"[٤]، وقال تعالى: ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[الأنبياء:١٨] ﴿فَيَدۡمَغُهُۥ﴾ فيذهبُه ذهاب الصغار

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج(٣٩٩/٤)

(٢) الجامع لأحكام القرآن(٣٧٠/٧)

(٣) إرشاد العقل السليم(٧/٤) = وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ﴾لَامُ التَّعْلِيلِ، وَهِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِقَوْلِهِ ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنفال:٧]،أَيْ إِنَّمَا أَرَادَ ذَلِكَ وَكَوَّنَ أَسْبَابَهُ بِكَلِمَاتِهِ لِأَجْلِ تَحْقِيقِهِ الْحَقَّ وَإِبْطَالِهِ الْبَاطِلَ (التحرير والتنوير: ٢٧٢/٩)

(٤) نظم الدرر(٤٩٧/١١)

والإذلال، ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾أي ذاهب[1]، وقال تعالى: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾[سبأ:٤٩]" أَيْ مَا يَخْلُقُ الشَّيْطَانُ أَحَدًا﴿ وَمَا يُعِيدُ﴾فَـ(مَا) نَفْيٌ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ استفهاما بمعنى أي شيء، أي جاء الحق فأي شيء بقي للباطل حتى يعيده ويبديه أي فلم يبق منه شيء، كقوله﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٨] أي لا ترى"[2].

السياق الرسمي: أبان البقاعي(ت٨٨٥هـ) عن دلالتين لحذف الواو رسما مع كونه مرفوعا، فقال:" قوله: **{ويمحُ الله}** أي الذي له جميع صفات الكمال **{الباطل}** وهو قولهم «**افترى**» وكل كذب فلا يدع له أثراً، وهنالك يظهر خسران الجاحد وينقطع لسان الألد المعاند، ولم يذكر أن آلة المحو الكلمات وغيرها استهانة به بالإشارة إلى أنه تارة يمحوه بنفسه بلا سبب وتارة بأضعف الأسباب وتارة بأعلى منه، وحذفت واوه في الخط في جميع المصاحف مع أنه استئناف غير داخل في الجواب؛ لأنه تعالى يمحو الباطل مطلقاً؛ إيماء إلى أنه سبحانه يمحق رفعه وعلوه وغلبته التي دلت عليها الواو مطابقة بين خطه ولفظه ومعناه تأكيداً للبشارة بمحوه محواً لا يدع له عيناً ولا أثراً لمن ثبت لصولته، وصبر كما أمر لحولته، اعتماداً على صادق وعد الله إيماناً بالغيب وثقة بالرسل عليهم الصلاة والسلام.

وفي الحذف أيضاً تشبيه له بفعل الأمر إيماء إلى أن إيقاع هذا المحو أمر لا بد من كونه على أتم الوجوه وأحكمها وأعلاها وأتقنها كما يكون المأمور به من الملك المطاع، وأما الحق فإنه ثابت شديد مضاعف فلذا قال: **{ويحق}** أي يثبت على وجه لا يمكن زواله **{الحق}** أي كل من شأنه الثبات لأنه أذن فيه وأقره، وعظم الحق وإحقاقه بذكر آلة الفعل فقال: **{بكلماته}** أي

(١) معاني القرآن وإعرابه(٣/٢٨٧)
(٢) الجامع لأحكام القرآن(١٤/٣١٣)

التي {**لو كان البحر مـــداداً**} [الكهف: ١٠٩] الآية التي يقولون إن ما أتاهم من العبارة عنها افتراء للكذب" [١]، أو حُذِفَتْ تَخْفِيفًا فِي النُّطْقِ، وَتَبِعَ حَذْفَهَا فِـــي النُّطْقِ حَذْفُهَا فِي الرَّسْمِ اعْتِبَارًا بِحَالِ النُّطْقِ.

دلالة الرفع: قوله: ﴿ **وَيَمْحُ** ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾مستأنَفٌ غيرُ داخـــلٍ فـــي جـــزاءِ الشرطِ، لأنه تعالى يمحو الباطلَ مطلقاً، وسَقَطت الواوُ منـــه لفظـــاً لالتقـــاءِ الساكنين في الدَّرْج، وخَطَّاً حَمْلاً للخط على اللفظِ...ولكن ينبغي أَنْ لا يجوزَ الوقفُ على هذا؛ لأنه إنْ وَقَفَ عليه بالأصلِ، وهـــو الـــواوُ، خالَفْنـــا خـــطَّ المصحفِ، وإنْ وَقَفْنا بغيرها موافَقَةً للرسمِ خالَفْنا الأصلَ [٢]، "أَيْ يَمْحُوهُ إِمَّا فِي الدُّنْيَا وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ حَيْثُ نَازِلُهُ "[٣].

ــ وَقَالَ الْكِسَائِيُّ(ت١٨٩هـــ): فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، مَجَازُهُ: وَاللَّهُ يَمْحُـــو الْبَاطِلَ، فَحُذِفَ مِنْهُ الْوَاوُ فِي الْمُصْحَفِ، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ.. وَلِأَنَّهُ عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ﴿يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[٤].

ــ **وقال** ابن النجيبين الهمذاني (ت٦٤٣هـــ): قولـــه" ﴿ **وَيَمْحُ** ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ بالرفع على الاستئناف والقطع مما قبله؛ لأنه موضع استئناف من حيث جـــاء من بعد الجزاء، وذلك أن الله ــ عز وجل ــ قد محا الباطل وأذهبه من غير شرط، وأما الختم على القلب فيكون بشرط المشيئة، إن شاء فعل، وإن شاء لم يفعل"[٥].

وبناء على هذا نبه علماء الوقف والابتداء على كيفية الأداء القرآنـــي، فقال ابن الغزال (ت٥١٦هـــ):" ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ قـــول أكثـــرهم، وذاك أن قولـــه

(١) نظم الدرر(٣٠٧/١٧)
(٢) الدر المصون(٥٥١/٩)
(٣) البحر المحيط(٣٣٦/٩)
(٤) الجامع لأحكام القرآن(٢٥/١٦)
(٥) الدرة الفريدة في شرح القصيدة (٦٧/٥)

﴿ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ﴾ موضعه رفع؛ لأنه مستأنف، وإنما حذفت الواو من الخط قياسا على اللفظ في الوصل، والدليل على ارتفاعه قوله ﴿وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ﴾بالرفع، وتأويله: ويمحو الله الشرك، ويحق الحق بما أنزله على لسان نبيه صلوات الله وسلامه عليه"[1]، وقال النكزاوي(ت٦٨٣هـ):" ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ﴾ تام عند يعقوب، وقال: ﴿وَيَمۡحُ ٱللَّهُ﴾مفصول مما قبله، وهو في موضع رفع، وهذا أيضا قول الفراء(ت٢٠٧هـ)، وحكي أنه يجوز أن يكون قوله ﴿وَيَمۡحُ ٱللَّهُ﴾في موضع جزم معطوفا على قوله ﴿يَخۡتِمۡ﴾ في كون الوقف على قوله ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ﴾ ثم يستأنف ﴿وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ﴾ وهو قول محمد بن سعدان(ت٢٣١هـ)[2]، قال: ﴿ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ﴾ مجزوم بالعطف على جواب الجزاء، وهو قوله ﴿يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ﴾، وليس الأمر كما قال، لأنه لو كان كذلك لأفسد المعنى، لأنه ــ عز وجل ــ قد محى الباطل بإبطاله له إياه في قوله في الأنفال ﴿لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ﴾[الأنفال:٨]، فقوله ﴿ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ﴾ مستأنف لا غير"[3]، وقال الأشموني(ق١١هـ):" ﴿عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ﴾ تامّ، لأن قوله: ﴿ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ﴾ مرفوع مستأنف غير داخل في جزاء الشرط؛ لأنه تعالى يمحو الباطل مطلقا"[4].

(١) الوقف والابتداء: لابن الغزال (١٣٨/٣)

(٢) محمد بن سعدان أبو جعفر الضرير الكوفي النحوي، إمام كامل، وله اختيار لم يخالف فيه المشهور، ثقة عدل،... صنف في العربية والقراءات،. (غاية النهاية١٤٣/٢)

(٣) الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء (٦٢/٤)

(٤) منار الهدى(ص٦٩٢)

وأكثر المصاحف على وضع علامة الوقف أولى[١]، والأرجح وضع علامة الوقف اللازم بناء على ما ذكره علماؤنا، وما يترتب على الوصل من دلالة عقدية ليس عليها اعتقادنا.

▪ ومن صور المضارع الذي تنوع بين الرفع والجزم وصورته التركيبية متماثلة، قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾[الأنعام:١٣٣] حيث اتفقت القراءات المتواترة على جزمه، واتفقت على رفعه في نظيره في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔاۚ﴾[هود:٥٧]،والْمَعْنَى في الآية الأولى: إِنْ يَشَأِ اللَّهُ يُعَجِّلْ بِإِفْنَائِكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ من بعدكم مِنْ يَشَاءُ مِمَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾[مُحَمَّد: ٣٨] أَيْ فَمَا إِمْهَالُهُ إِيَّاكُمْ إِلَّا لِأَنَّهُ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ[٢].

وأما قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔاۚ﴾[هود:٥٧] [٣]،فارْتِفَاعُ ﴿وَيَسْتَخْلِفُ﴾ فِي قِرَاءَةِ الْكَافَّةِ؛ " لِأَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى الْجَوَابِ مُجَازٌ فِيهِ الرَّفْعُ وَالْجَزْمُ، وَإِنَّمَا كَانَ الرَّفْعُ هُنَا أَرْجَحَ لِإِعْطَاءِ الْفِعْلِ حُكْمَ الْكَلَامِ الْمُسْتَأْنَفِ، لِيَكُونَ مَقْصُودًا بِذَاتِهِ لَا تَبَعًا لِلْجَوَابِ، فَبِذَلِكَ يَكُونُ مَقْصُودًا بِهِ إِخْبَارُهُمْ لِإِنْذَارِهِمْ بِالِاسْتِئْصَالِ، وَكَذَلِكَ جُمْلَةُ ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔاۚ﴾وَالْمُرَادُ لَا تَضُرُّونَ اللَّهَ بِتَوَلِّيكُمْ شَيْئًا" [٤]، وذكر

(١) دليل المحتار إلى اختلاف علامات الوقف في مصاحف الأمصار (ص٣٨٩)

(٢) التحرير والتنوير(٨/٨٦).

(٣) وَرُوِيَ عَنْ حَفْصٍ عَنْ عَاصِمٍ" وَيَسْتَخْلِفْ" بِالْجَزْمِ حَمْلًا عَلَى مَوْضِعِ الْفَاءِ وَمَا بَعْدَهَا، مِثْلُ:" وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ" [الأعراف: ١٨٦](الجامع لأحكام القرآن٩/٥٣).

(٤) التحرير والتنوير(١٢/٢٠١) = ونظيرها قوله تعالى:﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔاۗ﴾[التوبة:٣٩]

الزمخشري(ت٥٨٣هـ) أن قوله﴿ وَيَسْتَخْلِفُ﴾ كلام مستأنف، يريد: ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم [١]، ومعنى: (كلام مستأنف): أي: ليس بداخل في حيز الجملة الشرطية جزاء عنه، بل يكون جملة مستقلة برأسها، معطوفة على الجملة الشرطية، مؤذنة بأن الحجة قد لزمتهم بإبلاغ الرسول ما عليه من التبليغ وتوليهم عنه، وأن الله يهلكهم ويستخلف في ديارهم قوماً غيرهم، فعلى هذا: الجملة الشرطية برأسها إخبار بإلزام الحجة عليهم، والجملة الثالثة ابتداء إخبار باستخلاف غيرهم بعد إهلاكهم [٢].

(١) الكشاف(٢/٤٠٤).

(٢) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب(٨/١١٤).

المطلب الثالث: الجزم في جواب الطلب:

الضابط: " جوزوا جزم الفعل المضارع بعد خمسة أشياء: الأمر والنهي والاستفهام والتمني والعرض"[(١)]، وإن لم تقصد الجزاء فرفعت كان المرفوع على أحد ثلاثة أوجه: **إما صفة** كقوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي﴾ [مريم:٦]، **أو حالاً** كقوله تعالى ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف:١٨٦]، **أو قطعاً واستئنافاً**... ومما يحتمل الأمرين الحال والقطع... قوله تعالى: ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾[طه:٧٧]" [(٢)]، قَالَ الْفَرَّاءُ(ت٢٠٧هـ): وَمَا كَانَ مِنْ نَكِرَةٍ قَدْ وَقَعَ عَلَيْهَا أَمْرٌ، جَازَ فِي الْفِعْلِ بَعْدَهُ الْجَزْمُ وَالرَّفْعُ [(٣)]، ولَو لم يقْصد بِالْفِعْلِ الْوَاقِع بعد الطّلب الْجَزَاء امْتنع جزمه [(٤)].

وصور المضارع بعد الطلب في القرآن الكريم ثلاثة:

الصورة الأولى: مجزوم بهذا الطلب باتفاق القراءات المتواترة [(٥)]: كقوله تعالى:﴿ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾[الأعراف:٧٣] [هود:٦٤] ومثله: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾، ومثله

(١) سرائر العربية في شرح الوافية الحاجبية (٢/٢٩٩). قال ابن الحاجب(ت٦٤٦هـ) في الوافية في نظم الكافية:

وقَدَّرُوا إن جزمت بعد الطلبْ... في خمسةٍ تضمنت معنى السببْ

الأمرِ والنهيِ والاستفهامِ... عرضٍ تَمَنٍّ خمسةِ الأقسامِ

(٢) المفصل في صنعة الإعراب(ص٣٣٤).

(٣) معاني القرآن: للفراء (١/ ٣٢٥) والتفسير البسيط(٧/٥٩٥) ومفاتيح الغيب(١٢/٤٦٣).

(٤) شرح قطر الندى وبل الصدى(ص٨١).

(٥) اختلف في جازم الفعل حينئذ: فقيل إن لفظ الطلب ضمن معنى حرف الشرط فجزم، وإليه ذهب ابن خروف، ونسب إلى الخليل وسيبويه، وقيل إن الأمر والنهي وباقيها نابت عن الشرط، أي: حذفت جملة الشرط وأنيبت هذه في العمل منابها.

﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ﴾[طه:٢٢]، ونحو: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر:٦٠].

٢ــ **مرفوع بعد الطلب باتفاق القراءات المتواترة:** كقوله تعالى ﴿رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ [المائدة:١١٤]، فقَوْلُهُ ﴿تَكُونُ لَنَا﴾ صِفَةٌ لِلْمَائِدَةِ، ولَيْسَ بِجَوَابٍ لِلْأَمْرِ(١)، ويَحْتَمل أَن تكون حَالا من ضمير ﴿مَآئِدَةً﴾ الْمُسْتَتر فِي﴿ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾على تَقْدِيره صفة لَهَا لَا مُتَعَلقا ب ﴿أَنزِلۡ﴾ أَو من ﴿مَآئِدَةً﴾ على هَذَا التَّقْدِير لأنها قد وصفت.

دلالة الرفع: وَصَفَ عِيسَى –عَلَيْهِ السَّلَامُ –هَذِهِ الْمَائِدَةَ بِمَا أَحَبَّ أَنْ يُسْتَفَادَ مِنْ إِنْزَالِهَا فَقَالَ فِي وَصْفِهَا: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ أَيْ عِيدًا خَاصًّا بِنَا مَعْشَرِ الْمُؤْمِنِينَ دُونَ غَيْرِنَا، أَوْ تَكُونَ لَنَا كَرَامَةً وَمَتَاعًا لَنَا فِي عِيدِنَا (٢)، قال البقاعي(ت٨٨٥هـ):" وصفها بما تكون به بالغة العجب عالية الرتب فقال: ﴿تَكُونُ﴾ أي هي أو يوم نزولها"(٣)، فالسياق حاكم للرفع لا للجزم.

ــ ومثله قوله تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[التوبة:١٠٣] يصلح أن يكون قوله: ﴿تُطَهِّرُهُمۡ﴾ نعتاً للصدقة كأنه قال: خذ من أموالهم صدقة مطهّرة، والأجود أن يكون للنبيّ صلى الله عليه وسلم، المعنى: فانك تطهرهم بها (٤)، فقوله ﴿تُطَهِّرُهُمۡ﴾ وَإِن كَانَ مَسْبُوقا بِالطَّلَبِ وَهُوَ ﴿خُذۡ﴾

---

(١) التفسير البسيط(٧/٥٩٥)، وقرئ شاذا (تكن) بالجزم جوابا لصورة الأمر، نسبت للأعمش وابن محيصن، وابن السميفع، والجحدري (الدر المصون ٤/٥٠٣)والجامع لأحكام القرآن (٦/٣٦٨ وزاد المسير ١/٦٠٢)

(٢) تفسير المنار (٧/٢١١)

(٣) نظم الدرر (٦/٣٥٧)

(٤) وقرئ شاذا ﴿تُطَهِّرُهُمۡ﴾ بالجزم، على جواب الأمر، المعنى: إن تأخذ من أموالهم، تطهرْهم، ولا يجوز في: ﴿وَتُزَكِّيهِم﴾ إلا إثبات الياء، فالْجَزْمِ على معنى الْجَزَاء لم يمْتَنع فِي الْقيَاس.

لكَونه لَيْسَ مَقْصُودا بِهِ معنى إِن تَأْخُذ مِنْهُم صَدَقَة تطهرهُمْ، وَإِنَّمَا أُرِيد خُذ من أَمْوَالهم صَدَقَة مطهرة فـ ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ صفة لـ﴿صَدَقَةً﴾ (١)، وَالتَّاءُ فِي ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ تَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ تَاءَ الْخِطَابِ نَظَرًا لقَوْلِهِ: ﴿خُذْ﴾، وَأَنْ تَكُونَ تَاءُ الْغَائِبَةِ عَائِدَةً إِلَى الصَّدَقَة، وأيّاما كَانَ فَالْآيَةُ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ الصَّدَقَةَ تُطَهِّرُ وَتُزَكِّي(٢).

قال أبو إسحاق(ت٣١١هـ): يصلح أن يكون: ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ نعتاً للصدقة، كأنه قال: خذ من أموالهم صدقة مطهرة، والأجود أن يكون ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ للنبي – صلى الله عليه وسلم –؛ المعنى: خذ من أموالهم صدقة فإنك تطهرهم بها(٣)، وقال أبو علي(ت٣٧٧هـ): من جعل التاء في ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ ضمير الصدقة ولم يجعله ضمير فعل المخاطب فلِما جاء من أن الصدقة أوساخ الناس(٤)، فإذا أخذت منهم كان كالدفع لذلك، ودفعه تطهيره، ويجوز أن تكون طهارة من جهة الحكم وإن لم تُزِل شيئاً نجسًا عن أبدانهم كما أثبت نجاسة الحكم للمشركين في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨] أثبت طهارة الحكم للمسلمين بالصدقة، وعلى هذا الوجه في ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ تجعل:﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾منقطعًا عن الأول، أي: وأنت تزكيهم بها، ويجوز أن تجعل التاء

---

(١) مفاتيح الغيب(١٣٥/١٦)

(٢) التحرير والتنوير(٢٢/١١)

(٣) معاني القرآن وإعرابه(٢/ ٤٦٧)، وقال:"، ويجوز (تطهرْهُم) بالجزم على جواب الأمْر، المعنى: إن تأخذ من أموالهم تطهرهم وتزكهمْ، ولا يجوز في القراءَة إلا بإثبات الياءِ في ﴿وَتُزَكِّيهِم﴾، اتباعاً للمصحف"، وقوله ﴿وَتُزَكِّيهِم﴾على قراءة الرفع سواءٌ جُعلت التاءُ للخطاب أو للصدقة، وكذا إذا جعلت الجملةُ الأولى حالاً من ضمير المخاطَب، أو صفةً للصدقة على الوجهين، فالثانيةُ عطفٌ على الأولى حالاً وصفةً منْ غيرِ حاجةٍ إلى تقدير المبتدأ؛ لتوجيه دخول الواو في الجملة الحالية (إرشاد العقل السليم٩٩/٤)

(٤)«إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ" جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزكاة، بَابُ تَرْكِ اسْتِعْمَالِ آلِ النَّبِيِّ عَلَى الصَّدَقَةِ (١٠٧٢/٧٥٤/٢)

في ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ ضمير المخاطب، ويكون المعنى: تطهرهم أنت أيها الآخذ بأخذها منهم، ويقوي هذا الوجه قوله تعالى: ﴿ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾لأن قوله: (تزكي) للآخذ، فكذلك (تطهير)، ولا يحسن الانقطاع مع إمكان الاتصال(١).

الصورة الثالثة:ــ ما قرئ بالرفع والجزم، وذلك أنك إن لم تقصد الجزاء في هذه المواضع رفعت الفعل، وإن كان قبله نكرة تصلح لمجيء الحال منها احتمل الوصفية والحالية:

ــ قال تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم:٦] قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَالْكِسَائِيُّ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ﴾ بِجَزْمِهِمَا، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِرَفْعِهِمَا(٢) فالرفع؛ لأنه لم يقع جواباً، بل رَفَع الْفِعْلَيْنِ عَلَى أَنَّ الْجُمْلَةَ نَعْتٌ لِقَوْلِهِ ﴿وَلِيًّا﴾ أَيْ: وَلِيًّا وَارِثًا لِي، وَوَارِثًا مِنْ آلِ يَعْقُوبَ(٣) (٤)

ومن قرأ بالجزم جعله جواباً لِلْأَمْرِ، وَإِنَّمَا صَار جَوَاب الْأَمر مَجْزُومًا؛ لِأَن الْأَمر مَعَ جَوَابه بِمَنْزِلَة الشَّرْط وَالْجَزَاء، الْمَعْنى: هَب لي وليا فَإِنَّك إِن وهبته لي ورثني.

---

(١) التفسير البسيط (١١/ ٣٤) = فلك أن تجعل ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم﴾حَالَيْنِ لِلْمُخَاطَبِ، التَّقْدِيرُ: خُذْهَا مُطَهِّرًا لَهُمْ وَمُزَكِّيًا لَهُمْ بِهَا، وَيَجُوزُ أَنْ يَجْعَلَهُمَا صِفَتَيْنِ لِلصَّدَقَةِ، أَيْ صَدَقَةً مُطَهِّرَةً لَهُمْ مُزَكِّيَةً، وَيَكُونُ فَاعِلَ﴿وَتُزَكِّيهِم﴾الْمُخَاطَبُ، وَيَعُودُ الضَّمِيرُ الَّذِي فِي﴿بِهَا﴾عَلَى الْمَوْصُوفِ الْمُنَكَّرِ. وَحَكَى النَّحَّاسُ(ت٣٣٨هـ) وَمَكِّيٌّ(ت٤٢٧هـ) أَنَّ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ مِنْ صِفَةِ الصَّدَقَةِ﴿ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي﴿خُذْ﴾ وَهُوَ النَّبِيُّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ حَالًا مِنَ الصَّدَقَةِ، وَذَلِكَ ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّهَا حَالٌ مِنْ نَكِرَةٍ. (الجامع لأحكام القرآن: ٨/ ٢٤٩)

(٢) تقريب النشر في القراءات العشر (٢/ ٥٩١)

(٣)وفي المراد بهذا الميراث أربعة أقوال: أحدها: يَرِثني مالي، ويرث من آل يعقوب النبوَّة،. والثاني: يَرِثني العِلْم، ويَرِث من آل يعقوب المُلْكَ، فأجابه الله تعالى إلى وراثة العِلْم دون المُلْك،. والثالث: يَرِثني نبوَّتي وعِلْمي، ويَرِث من آل يعقوب النبوَّة أيضاً، والرابع: يَرِثني النبوَّة، ويرث من آل يعقوب الأخلاق، (زاد المسير٣/ ١١٨).

(٤) أضواء البيان(٣/ ٣٦٦)

وَلَو كَانَ الِاسْم معرفَة لَكَانَ الْجَزْم كَمَا قَالَ ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ﴾ [الأعراف:٧٣] فالهاء معرفَة، فَلَا يجوز أَن تجْعَل النكرَة صفة للمعرفة.

ــ قال البقاعي(ت٨٨٥هـ):" وقد استشكل القاضي العضد (ت ٧٥٦هـ)[١] كونَ {يرث} على قراءة الرفع صفة بأنه يلزم عليه عدم إجابة دعائه ــ عليه الصلاة والسلام ــ ؛ لأن يحيى ــ عليه السلام ــ قتل في حياته، ولا يكون وارثاً إلا إذا تخلف بعده، وقد قال تعالى ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ﴾ [الأنبياء: ٩٠] قال: فتجعل استئنافية، ولا يلزم حينئذ إلا خلف ظنه ــ عليه السلام – هكذا نقل لي عنه، وأنا أجلّه عن ذلك، لأنه لا يلزم تخلف دعائه ولا يتجرأ على عليّ مقامه بإخلاف ظنه، لأن الإخبار عن قتله قبله إن كان عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصح السند، كان تسمية العلم الذي أخذه عنه في حياته إرثاً مجازاً مرسلاً باعتبار ما يؤول إليه في الجملة، لا سيما مع جواز أن يكون يحيى ــ عليه السلام ــ علَّمه لمن عاش بعد أبيه عليهما الصلاة والسلام، وذلك لأن النبي ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ سمى العلم إرثاً على وجه الاستعارة التبعية بقوله عليه الصلاة والسلام «**إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ**»[٢] ولا شك أن من ضرورة تعلم العلم حياة المأخوذ عنه، ولم يرد منع من تسميته إرثاً حال الأخذ، هذا إذا صح أن يحيى عليه السلام مات قبل زكريا عليه السلام، وحينئذ يؤول ﴿مِن وَرَآءِى﴾[مريم:٥] بما غاب عنه، أي

---

(١) عبد الرَّحْمَن بن أَحْمد بن عبد الْغفار القَاضِي، عضد الدّين الأيجي، ولد بعد السبعمائة، وَأخذ عَن مَشَايِخ عصره... وَكَانَ إِمَامًا فِي الْمَعْقُول، قَائما بالأصول والمعاني والعربية، مشاركاً فِي الْفُنُون، وَله شرح الْمُخْتَصر والمواقف فِي علم الْكَلَام وَغير ذَلِك، وأنجب تلامذة عظاماً اشتهروا فِي الْآفَاق مثل شمس الدّين الْكرْمَانِي، وضياء الدّين العفيفي، وَسعد الدّين التَّفْتَازَانِيّ وَغَيرهم... وَكَانَ كثير المَال جدا، كريم النَّفس، يكثر الإنعام على الطّلبَة (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٣/١١٠)

(٢) جزء من حديث صحيح، أخرجه الترمذي في سننه: أبواب العلم، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الفِقْهِ عَلَى العِبَادَةِ (٥/٤٨/٢٦٨٢).

عجزت عن تتبع أفعال الموالي بنفسي في حال الكبر، وخفت سوء فعلهم إذا خرجوا من عندي وغابوا عني، فهب لي ولداً يكون متصفاً بصفاتي، فكان ما سأله، وإن لم يصح موته قبله بالطريق المذكور لم يصح أصلاً، وينتفي الاعتراض رأساً..." (١).

دلالة قراءة الرفع:

– صفة الولي؛ كأنه سأل وليا وارثًا علمه ونبوته،" أَيْ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ الْوَلِيَّ الَّذِي هَذِهِ حَالُهُ وَصِفَتُهُ، لِأَنَّ الْأَوْلِيَاءَ مِنْهُمْ مَنْ لَا يَرِثُ، فَقَالَ: هَبْ لِي الَّذِي يَكُونُ وَارِثِي"(٢)

– أن تكون الجملة مستأنفة استئنافاً بيانيا(٣)، كأن سائلا سأل: لماذا سأل الوليَّ؟ فأجيب: ﴿يَرِثُنِي....﴾.

– أَن زَكَرِيَّا ــ عليه السلام ــ إِنَّمَا سَأَلَ وليا وَارِثا علمه ونبوته، وَلَيْسَ الْمَعْنى على الْجَزَاء أَي إِن وهبته ورث ذَلِك؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ كل ولي يَرث فَإِذا لم يكن كَذَلِك لم يسهل الْجَزَاء من حَيْثُ لم يَصح أَن تَقول إِن وهبته ورث لِأَنَّهُ قد يهب وليا لَا يَرث.

– وَأُخْرَى، وَهِي أَن الْآيَة قد تمت عِنْد قَوْله﴿ وَلِيًّا﴾ ثمَّ تبتدئ ﴿يَرِثُنِي﴾ أَي هُوَ يَرِثنِي وَيَرِث من آل يَعْقُوب.

دلالة قراءة الجزم: ليس المعنى على الجزاء وذلك؛ لأنه ليس كل ولي يرث، وإذا كان كذلك لم يسهل الجزاء من حيث لم يصح إن وهبته ورث؛ لأنه قد يهب له وليا لا يرث بأن يموت قبله، أو لا يصلح لخلافة النبوة، وإذا كان كذلك كان الوجه الرفع، ووجه الجزم أنه أراد بالولي وليا وارثًا، فيصح

(١) نظم الدرر(١٢/١٧٠).
(٢) الجامع لأحكام القرآن(١١/٨١).
(٣) عناية القاضي وكفاية الراضي(٦/١٤٤).

الشرط بأن تقول: إن وهبت ورث إذا كان المسؤول وليًا وارثًا[١] أي أوقع الولي ــ الذي هو اسم عام ــ موضع الخاص، فأراد بالولي: وليا وارثا، أي: إن وهبته يرث، كما وضع العام موضع الخاص في غير هذا كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣] وإنما يراد بكلّ واحد من قوله الناس رجل مفرد، وقد يقول الرجل: جاءني أهل الدنيا، وإنما أتاه بعضهم إذا قصد التكثير، فكذلك قوله: ﴿وَلِيًّا﴾ لفظة عامّة تقع على الوارث وغير الوارث، فأوقعه على الوارث دون غيره، فعلى هذا يصحّ معنى الجزاء[٢].

٣ــ قال تعالى: ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ﴾ [القصص:٣٤]

قَرَأَ عَاصِمٌ وَحَمْزَةُ ﴿يُصَدِّقُنِىٓ﴾ بِرَفْعِ الْقَافِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْجَزْمِ[٣]، فمن جزم فعلى جواب المسألة: أَرْسِلْهُ يُصَدِّقْني، ومن رفع، فالمعنى: رِدْءاً مُصَدِّقاً لي، وقال أَبُو عُبَيْدٍ (ت٢٢٤هـ): الرَّفْعَ عَلَى الْحَالِ مِنَ الْهَاءِ فِي ﴿فَأَرْسِلْهُ﴾ أَيْ أَرْسِلْهُ رِدْءًا مُصَدِّقًا حَالَةَ التَّصْدِيق، فالحاصل أن الرفع فيه وجهان: أحدهما: أنهما جعلاه صلة للنكرة، والثاني: أنهما جعلاه حالا من الهاء[٤]، قال أبو علي(ت٣٧٧هـ): وجه الرفع في ﴿يُصَدِّقُنِىٓ﴾ أنّه صفة للنّكرة، وتقديره: ردءا مصدقا، وسأل ربّه إرساله بهذا الوصف، ومن جزم كان على معنى الجزاء، إن أرسلته صدّقني، وهو جيّد في المعنى، لأنّه إذا أرسله معه صدّقه[٥].

---

(١) التفسير البسيط(١٤/١٩٣).

(٢) الحجة للقراء السبعة (٥/١٩١).

(٣) تقريب النشر (٢/٦٣٢)

(٤) الحجة لابن خالويه (٢٧٨)

(٥) الحجة للقراء السبعة (٥/٤٢١) = وأكثر المفسرين على أنه أشار بقوله تعالى: ﴿يُصَدِّقُنِىٓ﴾ إلى هارون، وقال مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ): لكي يُصَدِّقني فرعون (ينظر: مفاتيح الغيب:٢٤/٥٩٧)

٤ــ قال تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾[طه:٦٩]، رَوَى ابْنُ ذَكْوَانَ﴿تَلْقَفْ﴾ رَفْعَ الْفَاءِ، والْبَاقُونَ بِالْجَزْمِ وَالتَّشْدِيدِ، وَرَوَى حَفْصٌ إِسْكَانَ اللَّامِ مَعَ تَخْفِيفِ الْقَافِ، وَالْبَزِّيُّ عَلَى أَصْلِهِ فِي تَشْدِيدِ التَّاءِ وَصْلًا[١] وَ﴿تَلْقَفْ﴾ بِالْجَزْمِ جَوَابُ الْأَمْرِ، كَأَنَّهُ قَالَ: إِنْ تُلْقِهِ تَتَلَقَّفْ، أَيْ تَأْخُذْ وَتَبْتَلِعْ، وَالرفع عَلَى: (أ) مَعْنَى الْحَالِ أَيْ أَلْقِهَا مُتَلَقِّفَةً، كَمَا قَالَ ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ [المدثر:٦] أَي مستكثرا، أَوْ (ب) عَلَى الِاسْتِئْنَافِ، أو(ج) أنه جعله فعلا مُسْتَقْبلا فأضمر فَاء يكون جَوَاب الْأَمر، كَأَنَّ التَّقْدِير: ألق عصاك فَإِنَّهَا تلقف[٢]، والحال يجوز أن يكون من الفاعل الملقي، ومن المفعول الملقى، فإن جعلته من الفاعل الملقي جعلته المُتلَقِّفَ،، وإن كان التَّلَقُفُ في الحقيقة للعصا، ووجه جعل المتلقف للفاعل على أن التلقف بإلقائه كان، فجاز أن ينسب إليه، كما قال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧] فأضاف الرمي إلى الله سبحانه، وإن كان للنبيّ ــ صلّى الله عليه وآله وسلّم ــ لما كان بقوّة الله وإقداره، ويجوز أن تكون الحال من المفعول، وقال فيه: ﴿تَلْقَفْ﴾ على حدّ قولك: هند تذهب، لأنه حمل الكلام على المعنى، والذي في يمينه عصا فأنثه[٣]. وإنما جاز أن تجعل ﴿تَلْقَفْ﴾حالا وإن لم تتلقف بعدُ؛ لأنه لتحقق كونه كأنه كائن[٤].

---

(١) تقريب النشر(٢/٥٩٧)

(٢) وينظر: مفاتيح الغيب (٢٢/٧٤)

(٣) التفسير البسيط (١٤/٤٦٠)

(٤) الشفاء في علل القراءات (٢/٨٦٠) =واتفق العشرة على الرفع في قوله تعالى: ﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾[الأعراف:١١٧] وقوله تعالى:﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾[الشعراء:٤٥]؛ لأن التركيب اللغوي لا يقتضي إلا الرفع، والمعنى: تلتقم التقاما حقيقيا شديداً سريعاً جداً بما دل عليه حذف التاء، وبقوة واجتهاد مع سرعة لا تكاد تدرك، وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ ﴿ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا﴾عَلَى جَمِيعِ الْقِرَاءَاتِ أَنَّهَا تَبْتَلِعُ كُلَّ مَا زَوَّرُوهُ وَافْتَعَلُوهُ مِنَ الْحِبَالِ.

٥ ــ **قال تعالى:** ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾[طه:٧٧]، قرأ حمزة ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا﴾بالجزم وحذف الألف، والباقون بالألف والرفع(١)، أَيْ لَا تَخَافُ أَنْ يُدْرِكَكَ فِرْعَوْنُ فَإِنِّي أَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ بِالتَّأْخِيرِ، ورفعه عَلَى وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: عَلَى الْحَالِ كَقَوْلِكَ غَيْرُ خَائِفٍ وَلَا خَاشٍ. **وَالثَّانِي:** عَلَى الِابْتِدَاءِ أَيْ أَنْتَ لَا تَخَافُ، وَهَذَا قَوْلُ الْفَرَّاءِ(ت٢٠٧هـ)، قَالَ الْأَخْفَشُ(ت٢١٥هـ) وَالزَّجَّاجُ(ت٣١١هـ): الْمَعْنَى لَا تَخَافُ فِيهِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [الْبَقَرَةِ: ٤٨] أَيْ لَا تَجْزِي فِيهِ نَفْسٌ.

– وَفِي قراءة حمزة وَجْهَانِ. **أَحَدُهُمَا:** أَنَّهُ نَهْيٌ، **وَالثَّانِي:** جَعَلَهُ جَوَابَ الشَّرْطِ عَلَى مَعْنَى: إِنْ تَضْرِبْ لَا تَخَفْ، وَعَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ ذَكَرُوا فِي قَوْلِهِ:﴿ وَلَا تَخْشَىٰ﴾ أَوْجُهٍ.

أَحَدُهَا: أَنْ يَسْتَأْنِفَ كَأَنَّهُ قِيلَ: وَأَنْتَ لَا تَخْشَى، أَيْ وَمِنْ شَأْنِكَ أَنَّكَ آمِنٌ لَا تَخْشَى.

وَثَانِيهَا: أَنْ لَا تَكُونَ الْأَلِفُ هِيَ الْأَلِفَ الْمُنْقَلِبَةَ عَنِ الْيَاءِ الَّتِي هِيَ لَامُ الْفِعْلِ وَلَكِنْ زَائِدَةٌ لِلْإِطْلَاقِ مِنْ أَجْلِ الْفَاصِلَةِ كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧] ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الْأَحْزَابِ: ١٠].

وَثَالِثُهَا: أَنْ يَكُونَ مِثْلَ قَوْلِهِ:

وَتَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ كَأَن لم ترى قَبْلِي أَسِيرًا يَمَانِيًّا (٢)

---

(١) تقريب النشر(٣٠/٣١١)

(٢) البيت من الطويل عَبْد يَغُوثَ الْحَارِثِ، وانظر القصيدة في ذيل الأمالي/١٣٣، والخزانة (١/٣١٦) وشرح أبيات المغني (٥/١٣٣– ١٣٨)، و القائل كان أسيراً يمانياً، فمرت به عجوزٌ من عبد شمس ضحكت منهُ، فقال البيت، وعبشميةٌ: منسوبٌ إلى عبد شمس، كعبدري: منسوبٌ إلى عبد الدار، وأثبت الألف مع الجازم في "لم ترَ" لضرورة الشعر، قيل: تري، كأنه جاء على الأصل ترى، ثم سكنه بالجازم.(فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ٦/٢١٣)

ورابعها: قَوْلُهُ: ﴿ وَلَا تَخْشَىٰ ﴾، وَالْمَعْنَى أَنَّكَ لَا تَخَافُ إِدْرَاكَ فِرْعَوْنَ وَلَاتَخْشَى الْغَرَقَ بِالْمَاءِ [1]

دلالة قراءة الجمهور: وَعْدٌ لِمُوسَى اقْتُصِرَ عَلَى وَعْدِهِ دُونَ بَقِيَّةِ قَوْمِهِ؛ لِأَنَّهُ قُدْوَتُهُمْ فَإِذَا لَمْ يَخَفْ هُوَ تَشَجَّعُوا وَقَوِيَ يَقِينُهُمْ، فَهُوَ خَبَرٌ مُرَادٌ بِهِ الْبُشْرَى.[2]

(١) مفاتيح الغيب(٨٠/٢٢) وزاد المسير (١٦٩/٣) والحجة لابن خالويه(٢٤٥) والحجة لأبي علي(٢٣٩/٥) وحجة القراءات (٤٥٨)

(٢) التحرير والتنوير(٢٧٠/١٦) = وكَلِمَةُ ﴿لَّا تَخَفْ﴾ مَكْتُوبَةٌ فِي الْمَصَاحِفِ بِدُونِ أَلْفٍ لِتَكُونَ قِرَاءَتُهَا بِالْوَجْهَيْنِ لِكَثْرَةِ نَظَائِرِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ ذَاتِ الْأَلِفِ فِي وَسَطِهَا فِي رَسْمِ الْمُصْحَفِ.

المبحث الثاني: المستوى المعجمي

الضابط اللغوي: تقول معاجم اللغة:" **الضَّادُ وَالْيَاءُ وَالرَّاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهُوَ مِنَ الضَّيْرِ وَالْمَضَرَّةِ، وَلَا يَضِيرُنِي كَذَا، أَيْ لَا يَضُرُّنِي**"(١)، و" **والضَّيْرُ والضُّرُّ وَاحِدٌ**" (٢)،

يقال ضرر وضير وضور بمعنى واحد(٣)، قال الزجاج(ت٣١١هـ): الضر والضير بمعنى واحد(٤).

وهذا التنوع اللغوي ورد في الفعل المضارع في موضع واحد، هو قوله تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران:١٢٠]، حيث" قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ، وَالْكُوفِيُّونَ، وَأَبُو جَعْفَرٍ ﴿يَضُرُّكُمْ﴾ بِضَمِّ الضَّادِ وَرَفْعِ الرَّاءِ مشددة، وَ الْبَاقُونَ بِكَسْرِ الضَّادِ وَجَزْمِ الرَّاءِ مَخَفَّفَةً"(٥).

-وقد وردت مواضع لهذا الفعل لم تتنوع فيها القراءات المتواترة، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ﴾ [المائدة:١٠٥] وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ [الأنبياء:٦٦]

وقد ذكر علماء التوجيه والاحتجاج للقراءات أن حجة القراءة بكَسْر الضَّاد قَوْله ﴿قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾[الشعراء:٥٠]، وكَانَت فِي الأَصْل:(لَا يضْيرُكم) مثل (يضْرِبُكم)، فاستثقلت الكسرة على الْيَاء، فنقلت كسرة الْيَاء إِلَى

(١) مقاييس اللغة(ض ي ر)(٣٧٩/٣).
(٢) تاج العروس(ض ي ر).
(٣) معاني القرآن للنحاس(٧٧/٥).
(٤) زاد المسير(٣١٩/١).
(٥) تقريب النشر في القراءات العشر (٤٨٥/٢)

الضَّاد، فَصَارَت (لَا يضِيرُكم)، وَدخل الْجَزْم على الرَّاء فَالتقى ساكنان الْيَاء وَالرَّاء فطرحت الْيَاء فَصَارَت {**لَا يَضِرْكُم**}، وقراءة الباقين من ضرّ يضر، وحجتهم أَن (ضرّ) فِي الْقُرْآن أَكثر من (ضار)، وَاسْتِعْمَال الْعَرَب (ضرّ) أَكثر من (ضار) من ذَلِك ﴿ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾[المائدة:٧٦] [يونس:٤٩] [طه:٨٩] [الفرقان:٣]و﴿ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾[الأعراف:١٨٨] [الرعد:١٦] [سبأ:٤٢]، وَهُوَ كثير فِي الْقُرْآن فَلَا يصرف عَن شَيْء كثر فِي الْقُرْآن [١].

قال أبو علي(ت٣٧٧هـ): من قال: **(لا يضِرْكُم)** جعله من ضار يضير، مثل: باع يبيع، وحجّته قوله: ﴿لَاضَيْرَ﴾[الشعراء:٥٠] فضير مصدر كالبيع، وحجّة من قال: (لا يضركم) قوله تعالى:﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ [البقرة:١٠٢] ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ [يونس:١٨]﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾[الفرقان:٥٥] فكلتا القراءتين حسنة لمجيئهما جميعا في التنزيل[٢].

---

(١) حجة القراءات(١٧١) =، وفِيهِ وَجْهَان عِنْد الْكسَائِي(ت١٨٩هـ): أَحدهمَا أَن يكون الْفِعْل عِنْده مَجْزُومًا بِجَوَاب الْجَزَاء، وَتَكون الضمة فِي الرَّاء تَابِعَة لضمة الضَّاد... فأتبعوا الضَّم الضَّم فِي المجزوم، وَكَانَت فِي الأَصْل (لَا يضررِكم) وَلَكِن كثيرا من الْقُرَّاء وَالْعرب يدغم فِي مَوضِع الْجَزْم، فَلَمَّا أَرَادوا الْإِدْغَام سكنوا الرَّاء، ونقلوا الضمة الَّتِي كَانَت على الضَّاد فَصَارَت (لَا يضررِكم) ثمَّ أدغموا الرَّاء فِي الرَّاء وحركوها بحركة الضَّاد فَصَارَت (لَا يضركم) فَهَذِهِ الضمة ضمة إتباع، وَأهل الْحجاز يظهرون التَّضْعِيف، وَفِي هَذِه الْآيَة جَاءَت فِيهَا اللغتان جَمِيعًا فَقَوله ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ﴾ على لُغَة أهل الْحجاز وَ﴿لَا يَضُرُّكُم﴾ على لُغَة غَيرهم من الْعَرَب. وَالْوَجْه الآخر: أَن يكون الْفِعْل مَرْفُوعا فَتَصِير (لَا) على مَذْهَب لَيْسَ وتضمر فِي الْكَلَام فَاء، كَأَنَّهُ قَالَ: فَلَيْسَ يضركم، وَالْفَاء المضمرة تكون جَوَاب الْجَزَاء، وَاسْتَشْهدَ الْكسَائِي على إِضْمَار الْفَاء هَا هُنَا بقوله ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم:٣٦] مَعْنَاهُ: فَإِذا هم، وَكَذَلِكَ قَوْله ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١]،أي فَإِنَّكُم لمشركون.

(٢) التحرير والتنوير(٦٩/٤).

وتذكر معاجم اللغة أن " الضَّاد وَالرَّاء ثَلَاثَةُ أُصُول: الْأَوَّلُ خِلَافَ النَّفْعِ، وَالثَّانِي: اجْتِمَاعُ الشَّيْءِ، وَالثَّالِثُ الْقُوَّةُ، فَالْأَوَّلُ الضَّرُّ: ضِدُّ النَّفْعِ، وَيُقَالُ: ضَرَّهُ يَضُرُّهُ ضَرًّا، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَى هَذَا كُلُّ مَا جَانَسَهُ أَوْ قَارَبَهُ... " [١]، و" الضَّـرُّ، ويُضَمّ لُغَتَانِ: ضِدّ النَّفْع، أَو الضَّرّ بالفَتْح: مَصْدَر، وبالضَّم: اسْمٌ، وَقيل: هما لُغَتَانِ كالشُّهْد والشَّهْدِ، فإِذا جَمَعْتَ بَين الضَّرّ والنَّفْعِ فتحتَ الضادَ، وإِذا أَفردْتَ الضُّرَّ ضَمَمْتَ إِذا لم تستعملْه مصدرا، كَقَوْلك: ضَرَرْتُ ضَرّاً، هكذا تَسْتَعمِله العربُ،... وَقَالَ أَبو الدُّقَيْش[٢]: كُلُّ مَا كَانَ من سُوءِ حَال وفَقْرٍ أَو شِدّةٍ فِي بَدَنٍ فَهُوَ ضُرٌّ، وَمَا كَانَ ضِدّ النَّفْع فَهُوَ ضَرٌّ،" [٣]،و" الضَّادُ وَالْيَاءُ وَالرَّاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهُوَ مِنَ الضَّيْرِ وَالْمَضَرَّةِ، وَلَا يَضِيرُنِي كَذَا، أَيْ لَا يَضُرُّنِي"[٤].

والسؤال: ما دلالة تنوع القراءات في مضارع آية آل عمران واتفاقها في نحو موضعي المائدة والأنبياء؟ من خلال السياق القرآني يمكننا استنباط الآتي:

الأول: أن تنوع القراءتين لمقابلة التنوع الثنائي في سياق الآية الكريمة سابقا ولاحقا، وذلك في ثلاثة أمور:

أ ــ قوله تعالى:﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [آل عمران:١٢٠] والحسنة: الألفة والجماعة، والسيئة: الفرقة والاختلاف، وإصابة طرف من المسلمين، أو الحسنة: النعمة، والسيئة: المصيبة[٥]، ولعل قراءة (لا يَضِرْكُم) تناسب ﴿تَمْسَسْكُمْ﴾، والقراءة الثانية تناسب ﴿تُصِبْكُمْ﴾، لما سيظهر بعد ذلك من ملمح دلالي بين (الضير) و(الضر).

---

(١) مقاييس اللغة(ض ر ر)(٣/٣٦٠).
(٢) ينظر ترجمته: معجم الأدباء (٣/١٢٩٣)
(٣) تاج العروس(ض ر ر).
(٤) مقاييس اللغة (ض ي ر) (٣/٣٧٩)
(٥) زاد المسير(١/٣١٩).

ب ــ أمر ربنا –من خلال أسلوب الشرط –الصحابة الكرام بقوله: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٢٠] وقد ورد هذا الشرط جمعا بين الصبر والتقوى في ثلاثة مواضع جميعها في سورة آل عمران، ثانيها قوله تعالى: ﴿إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[آل عمران:١٢٥] وقوله تعالى:﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[آل عمران:١٨٦] أي: إن تصبروا على لِقاء الْعدو، وتتقوا أَي: وتحذروا مُخَالفَة الرَّسُول ــ صلى الله عليه وسلم ــ (١)

– " وذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ: وَإِنْ تَصْبِرُوا عَلَى عَدَاوَتِهِمْ وَتَتَّقُوا اتِّخَاذَهُمْ بِطَانَةً وَمُوَالَاتَهُمْ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ لَكُمْ هُمْ بِمَعْزِلٍ عَنْكُمْ.

– وذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ: وَإِنْ تَصْبِرُوا عَلَى مَشَاقِّ التَّكَالِيفِ وَامْتِثَالِ الْأَوَامِرِ عَامَّةً، وَتَتَّقُوا مَا نُهِيتُمْ عَنْهُ وَخَطَرٌ عَلَيْكُمْ – وَمِنْهُ اتِّخَاذُ الْبِطَانَةِ مِنْهُمْ – لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ.... (٢)، ولعل قراءة التشديد لمناسبة الصبر، والقراءة الثانية لمناسبة التقوى؛ إذ إن الصبر أثقل من الاتقاء؛ إذ الاتقاء احتراز، والامتناع والاحتراز أخف وطأة من الوقوع في الأمر والصبر عليه.

إِنَّ الصَّبْرَ يُذْكَرُ فِي الْقُرْآنِ فِي مَقَامِ مَا يَشُقُّ عَلَى النَّفْسِ، وَحَبْسُ الْإِنْسَانِ سِرَّهُ عَنْ وَدِيدِهِ وَعَشِيرِهِ وَمُعَامِلِهِ وَقَرِيبِهِ مِمَّا يَشُقُّ عَلَيْهِ، فَإِنَّ مِنْ لَذَّاتِ النُّفُوسِ أَنْ تُفْضِيَ بِمَا فِي الضَّمِيرِ إِلَى مَنْ تَسْكُنُ إِلَيْهِ وَتَأْنَسُ بِهِ، فَلَمَّا نُهُوا عَنِ اتِّخَاذِ بِطَانَةٍ مِمَّنْ دُونَهُمْ مِنْ خُلَطَائِهِمْ وَعُشَرَائِهِمْ وَحُلَفَائِهِمْ وَعَلَّلَ بِمَا عَلَّلَ بِهِ مِنْ بَيَانِ بَعْضَائِهِمْ وَكَيْدِهِمْ حَسُنَ أَنْ يُذَكَّرُوا بِالصَّبْرِ عَلَى هَذَا لِتَكْلِيفِ الشَّاقِّ عَلَيْهِمْ،

(١) تفسير السمعاني(١/٣٥٣).
(٢) تفسير المنار(٤/٧٦)

وَبِاتِّقَاءِ مَا يَجِبُ اتِّقَاؤُهُ لِأَجْلِ السَّلَامَةِ مِنْ عَاقِبَةِ كَيْدِهِمْ. وَيَصِحُّ أَنْ يُرَادَ بِالتَّقْوَى: الْأَخْذُ بِوَصَايَاهُ وَامْتِثَالِ أَمْرِهِ – تَعَالَى – فِي الْبِطَانَةِ وَغَيْرِهَا...

وَمِنَ الِاعْتِبَارِ فِي الْآيَةِ أَنَّهُ – تَعَالَى – أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّبْرِ عَلَى عَدَاوَةِ أُولَئِكَ الْمُبْغِضِينَ الْكَائِدِينَ وَبِاتِّقَاءِ شَرِّهِمْ وَلَمْ يَأْمُرْهُمْ بِمُقَابَلَةِ كَيْدِهِمْ وَشَرِّهِمْ بِمِثْلِهِ، وَهَكَذَا شَأْنُ الْقُرْآنِ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِالْمَحَبَّةِ وَالْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ وَدَفْعِ السَّيِّئَةِ بِالْحَسَنَةِ إِنْ أَمْكَنَ كَمَا قَالَ: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾[فصلت:٣٤] فَإِنْ لَمْ يُمْكِنْ تَحْوِيلُ الْعَدُوِّ إِلَى مُحِبٍّ بِدَفْعِ سَيِّئَاتِهِ بِمَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْهَا فَإِنَّهُ يُجِيزُ دَفْعَ السَّيِّئَةِ بِمِثْلِهَا مِنْ غَيْرِ بَغْيٍ وَلَا اعْتِدَاءٍ" (١).

ج ــ التنوع القرائي في تذييل الآية الكريمة، حيث قرأ الجمهور﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾بالغيب، وقرأ الحسن، وسهل، وأبو رجاء بالتاء(٢)، فالخطاب لقوله تعالى:﴿ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗا﴾، أي: إن الله بما تعملون من الصبر والتقوى ففاعل بكم ما أنتم أهله، وبالياء، بمعنى: أنه عالم بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم عليه(٣).

قال البقاعي(ت٨٨٥هـ) في بيان هذا التنوع الثنائي في الآية الكريمة:" ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ﴾أي مجرد مس ﴿حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ﴾ ولما كان هذا دليلاً شهودياً ولكنه ليس صريحاً أتبعه الصريح بقوله: ﴿وَإِن تُصِبۡكُمۡ﴾ أي بقوة مرها وشدة وقعها وضرها﴿ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ﴾، ولما كان هذا أمراً مبكتاً غائظاً مؤلماً داواهم بالإشارة إلى النصر مشروطاً بشرط التقوى والصبر فقال: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ أي تكونوا من أهل الصبر والتقوى﴿ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗا﴾

(١) تفسير المنار (٧٦/٤) ومفاتيح الغيب(٣٤٤/٨).
(٢) قراءة شاذة (ينظر: المغني في القراءات ٢/ ٦٠٨).
(٣) الشفاء في علل القراءات (٣٢٣/١).

ثم علل ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ أي ذال الجلال والإكرام ﴿بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ أي فهو يعد لكل كيد ما يبطله، والمعنى على قراءة الخطاب: بعملكم كله، فمن صبر واتقى ظفرته، ومن عمل على غير ذلك انتقمت منه" (١).

ثانيا: حمل سياق السورة الكريمة نوعين من الضرر الذي يكيده المشركون للمؤمنين، وذلك في قوله ــ تعالى ــ ﴿لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ﴾[آل عمران:١١١]، حيث" أَرْشَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى كَيْفِيَّةِ تَلَقِّي أَذَى الْعَدُوِّ: بِأَنْ يَتَلَقَّوْهُ بِالصَّبْرِ وَالْحَذَرِ، وَعَبَّرَ عَنِ الْحَذَرِ بِالِاتِّقَاءِ أَيِ اتِّقَاءَ كَيْدِهِمْ وَخِدَاعِهِمْ، وَقَوْلِهِ ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾أَيْ بِذَلِكَ يَنْتَفِي الضُّرُّ كُلُّهُ؛ لِأَنَّهُ أَثْبَتَ فِي أَوَّلِ الْآيَاتِ أَنَّهُمْ لَا يَضُرُّونَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا أَذًى، فَالْأَذَى ضُرٌّ خَفِيفٌ، فَلَمَّا انْتَفَى الضُّرُّ الْأَعْظَمُ الَّذِي يُحْتَاجُ فِي دَفْعِهِ إِلَى شَدِيدِ مقاومة من الْقِتَالِ وَحِرَاسَةٍ وَإِنْفَاقٍ، كَانَ انْتِفَاءُ مَا بَقِيَ مِنَ الضُّرِّ هَيِّنًا، وَذَلِكَ بِالصَّبْرِ عَلَى الْأَذَى، وَقِلَّةِ الِاكْتِرَاثِ بِهِ، مَعَ الْحَذَرِ مِنْهُمْ أَنْ يَتَوَسَّلُوا بِذَلِكَ الْأَذَى إِلَى مَا يُوصِلُ ضُرًّا عَظِيمًا" (٢)، والمعنى: لن ينالوا منكم إلا أذى، وأما الضرر فإنهم لن ينالوه منكم ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ فنفى لحوق ضرر كيدهم بهم مع أنهم لا يسلمون من أذى يلحقهم بكيدهم، ولو أنه بالإرهاب والكلام وإلجائهم إلى محاربتهم وما ينالهم بها من الأذى والتعب، ولكن ليس ذلك بضارهم، ففرق بين الأذى والضرر(٣)، فالضير لمقابلة الأذى، والضرر تقابله قراءة الجمهور.

---

(١) نظم الدرر (٥/٤٠).

(٢) التحرير والتنوير(٤/٦٨).

(٣) بدائع الفوائد(٣/٧٢)، وَالظَّاهِرُ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿إِلَّآ أَذٗىۖ﴾ اسْتِثْنَاءٌ مُتَّصِلٌ، وَهُوَ اسْتِثْنَاءٌ مُفَرَّغٌ مِنَ الْمَصْدَرِ الْمَحْذُوفِ التَّقْدِيرُ: لَنْ يَضُرُّوكُمْ ضَرَرًا إلا ضررا لَا نِكَايَةَ فِيهِ، وَلَا إِجْحَافَ لَكُمْ، وَقَالَ الْفَرَّاءُ(ت٢٠٧هـ) وَالزَّجَّاجُ(ت٣١١هـ) وَالطَّبَرِيُّ(ت٣١٠هـ) وَغَيْرُهُمْ: هُوَ اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ، وَالتَّقْدِيرُ: لَنْ يَضُرُّوكُمْ لَكِنْ أَذًى بِاللِّسَانِ، فَقِيلَ: هُوَ سَمَاعُ كَلِمَةِ الْكُفْرِ، وَقِيلَ: هُوَ بُهْتُهُمْ وَتَحْرِيفُهُمْ، وَقِيلَ: مَوْعِدٌ وَطَعْنٌ، وَقِيلَ: كَذِبٌ يَتَقَوَّلُونَهُ عَلَى اللَّهِ.(البحر المحيط: ٣/٣٠٣).

ثالثا: الغالب على الضير أن يكون في الأمر المعنوي، والأكثر في الضرر أن يكون في الأمر الحسي، ويؤيد ذلك أمور:

الأول: قول الخليل (ت١٧٥هـ): " الضَّيْرُ المَضَرَّةُ، ولا ضَيْرَ أي لا حَرَجَ ولا مَضَرَّةَ"(١)، ففسر الضير بالحرج وهو أمر معنوي.

الثاني: سياق موضع سورة الشعراء في نفي الضرر المعنوي، وذلك أنهم قالوا بعد ذلك ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾[طه:٧٢]، قال ابن عباس وجميع المفسرين: فاصنع ما أنت صانع (٢)، وقِيلَ: فَاحْكُمْ مَا أَنْتَ حَاكِمٌ، أَيْ مِنَ الْقَطْعِ وَالصَّلْبِ(٣)، فعلى هذا يكون الضير الذي نفوه في قولهم﴿لَا ضَيۡرَ﴾ معنويا.

الثالث: أن المفسرين ذكروا في قوله تعالى:﴿ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ﴾[الأنبياء:٦٦]" أي: لا يرزقكم ولا يعطيكم شيئاً، وَلا يَضُرُّكُمْ إِذا لم تعبدوه"(٤)، فهو في مقابل النفع الحسي.

الرابع: أن في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾[المائدة:١٠٥] دلالة على نفي الضرر الحسي، وإلا فالأصل في المسلم أن يكون غير مسرور عَلَى عَدَمِ قَبُولِ الضَّالِّينَ لِلِاهْتِدَاءِ، قال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾[الكهف:٦] و" الْمَقْصُودُ مِنْهُ أَنْ يُقَالَ لِلرَّسُولِ: لَا يَعْظُمُ حُزْنُكَ وَأَسَفُكَ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ فَإِنَّا بَعَثْنَاكَ مُنْذِرًا وَمُبَشِّرًا، فَأَمَّا تَحْصِيلُ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِهِمْ فَلَا قُدْرَةَ لَكَ عَلَيْهِ.

(١) العين (٥٤/٧).
(٢) التفسير البسيط(٤٦٦/١٤).
(٣) الجامع لأحكام القرآن(٢٢٦/١١).
(٤) زاد المسير(١٩٩/٣).

وَالْغَرَضُ تَسْلِيَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ... والْأَسَفُ الْمُبَالَغَةُ فِي الْحُزْنِ"[١].

رابعا: سياق موضع سورة الشعراء يدل على أنهم لن يصبهم أدنى ضرر، فقولهم ﴿لَاضَيْرَ﴾ جاء في سياق الاستهانة بوعيد فرعون لهم، وهذا ما أشار إليه علماؤنا القدامى، فقالوا: معنى قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾ [الشعراء:٥٠]، يقول تعالى ذكره: قالت السحرة: لا ضير علينا، وهو مصدر من قول القائل: قد ضار فلانٌ فلانا فهو يضير ضيرا، ومعناه: لا ضرر" [٢]، أي لا ضرر علينا فيما ينالنا في الدنيا مع أملنا للمغفرة [٣]، أرادوا: لا ضرر علينا في ذلك، بل لنا فيه أعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله، من تكفير الخطايا والثواب العظيم، مع الأعواض الكثيرة [٤]، فقابلوا وعيده بما يهونه ويزيل ألمه، من انتقالهم إلى ثواب ربهم مع المتحقق من منقلب معذبهم، فجاء في سورة الشعراء وهي التي قصد بها الاقتصاص الأكبر: ﴿لَاضَيْرَ﴾أي لا ضرر علينا، فإن منقلبنا إلى جزاء ربنا فننعم أبدا، وتعذب أنت أبدا، فالضرر الذي تحاول إنزاله بنا، بك نازل، وعليك مقيم، ونحن نألم ساعة لا يعتد بها مع دوام النعيم بعدها، فكأنه لم يلحقنا ضرر [٥]، فلما كان الوعيد في الشعراء أشد ناسب مقابلتهم له بعدم التأثر به في مقابلة ما يرجونه عند الله تعالى. [٦]، "والذي في سورة الشعراء إنما هو خبر عن السحرة لما آمنوا ووصفوا حالهم واستهانتهم بما خوّفوا أن ينالهم من عقوبة فرعون، إذ كان

(١) مفاتيح الغيب(٢١/٤٢٦).
(٢) جامع البيان للطبري(١٩/٣٤٩).
(٣) معاني القرآن وإعرابه(٤/٩٠).
(٤) الكشاف (٣/٣١٣) والبحر المحيط(٨/١٥٥).
(٥) درة التنزيل وغرة التأويل(٢/٦٨٠).
(٦) كسف المعاني في المتشابه من المثاني(ص١٨٨).

منقلبهم إلى ربهم وكانوا مجازين على إيمانهم وصدقهم وصبرهم، فلم يحتج من التوكيد إلى ما احتاج إليه ما هو على التأييد" [١].

قال البقاعي(ت٨٨٥هـ): ولما كان قد تقدم هنا أنهم أثبتوا له عزة توجب مزيد الخوف منه، حسن قولهم: {لا ضير} أي لا ضرر أصلاً علينا تحصل به المكنة منا فيما هددتنا به، بل لنا في الصبر عليه إن وقع أعظم الجزاء من الله، ورد النفي الشامل في هذه السورة إيذاناً بأنه لم يقدر فرعون على عذابهم، تحقيقاً لما في أول القصة من الإشارة إلى ذلك ب {كلا} و {مستمعون} فإن الإمكان من تابعي موسى عليه السلام يؤذيه ويضيق صدره، ولما يأتي من القصص من صريح العبارة في قوله ﴿أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [القصص:٣٥]، ثم عللوا ذلك بقولهم: {إنا} أي بفعلك ذلك فينا إن قدرك الله عليه {إلى ربنا} أي المحسن إلينا وحده {منقلبون} أي ولا بد لنا من الموت، فلنكن على ما حكم به ربنا من الحالات، وإنما حكمك على هذا الجسد ساعة من نهار، ثم لا حكم على الروح إلا الله الذي هو جدير بأن يثيبنا على ذلك نعيم الأبد [٢].

" وَمَعْنَى ﴿لَاضَيْرَ﴾لَا يَضُرُّنَا وَعِيدُكَ، وَمَعْنَى نَفْيِ ضُرِّهِ هُنَا: أَنَّهُ ضُرٌّ لَحْظَةٍ يَحْصُلُ عَقِبَهُ النَّعِيمُ الدَّائِمُ فَهُوَ بِالنِّسْبَةِ لِمَا تَعَقَّبَهُ بِمَنْزِلَةِ الْعَدَمِ، وَهَذِهِ طَرِيقَةٌ فِي النَّفْيِ إِذَا قَامَتْ عَلَيْهَا قرينَة، وَمِنْهَا قَوْلُهُمْ: هَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ، أَيْ لَيْسَ بِمَوْجُودٍ، وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ أَنَّ وُجُودَهُ كَالْعَدَمِ" [٣].

فهذه النصوص التي ذكرها علماؤنا دالة على أن الضير في الشيء الخفيف، بخلاف الضرّ، وهم إذا نفوا الخفيف فقد نفوا الشديد، ولا عكس.

(١) درة التنزيل وغرة التأويل(١/١١٧٢).
(٢) نظم الدرر(١٤/٣٦).
(٣) التحرير والتنوير(١٩/١٢٨).

– هوّنوا وعيده وأزالوا ألمه بقولهم ﴿لَاضَيْرَ﴾ فهو بإزاء ما نلقى عند ربنا كأنه لا شيء، فقابلوا وعيده بعدم التأثر به.

– لا ضرر عليا أصلا، صغر أم كبر، وسياق سورة الشعراء ناطق ففي أوله ﴿قَالَ كَلَّا ۖ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾﴾، وبناء على هذا يمكن القول بأن قراءة ﴿يَضُرُّكُمْ﴾بالتشديد والتخفيف ليشمل نفي الضرر صغر أو كبر، حسيا كان أو معنويا، ففي غزوة بدر كان المسلمون في قلة من العدد والعدة، والنفس البشرية إذ ترى ذلك تخاف وقوع الضرر والأذى من العدو، فجاءت القراءات مطمئنة لهم.

الخاتمة

بعد حمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، توصل البحث إلى نتائج منها:

- ــ في التنوع القرائي بين نون التوكيد الخفيفة ونون التوكيد الثقيلة دلالات صوتية ومعنوية تتمثل في توكيد النهي، أو التفرقة بين صور المنهي عنه كما في قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم:٦٠].
- ــ المشاكلة اللفظية سياق مهم في دلالة الاتفاق والاختلاف بين القراءات في المواضع المتماثلة تركيبيا، وهذا أشبه بما عليه كلامهم، يطلبون المشاكلة، ويلزمونها، وهي من فصيح الكلام.
- ــ اختلف العلماء في وصف نصب المضارع الوارد بالواو أو الفاء بعد جواب الشرط بين وصفه بالقلة أو بالضعف، ومنهم من أجازه، وقد ظهر من خلال البحث أن النصب ما يجب أن يوصف بالضعف؛ لأن القراءات المتواترة وردت به، فهي حجة على من وصف النصب بذلك.
- ــ القراءات المتواترة أسهمت باتفاقها في بعض المواضع على مكانة وخطورة التقوى، حيث كانت شرطا في تكفير السيئات ومغفرة الذنوب، والتقوى لا تتوقف على غني أو فقير.
- ــ كان لتنوع الإعراب أثر في دلالة السياق الزمني للمعطوف على جواب الشرط، كما ظهر لنا في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورَۢا﴾[الفرقان:١٠].
- ــ قدم البحث تفسيرا لغويا لشذوذ النصب في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٨٤]، وتواتره وحده في قوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٢]، وتواتره مع الرفع في قوله تعالى:

﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ [الشورى:٣٥] مع اتفاق الثلاثة في التركيب اللغوي.

● ــ ما اتفقت عليه القراءات المتواترة بجزم المضارع المقترن بالواو أو الفاء الوارد بعد جواب الشرط، هو الأجود من حيث الصناعة اللغوية، وفي كلها عُلِّق الجزاء وما عُطف عليه بالشرط، وقد جاءت في سياقات مغفرة الذنوب ورحمته تعالى بعباده مشروطة بتقواه وطاعة أوامره.

● ــ أكثر المصاحف على وضع علامة الوقف أولى عند قوله تعالى: ﴿قَلْبِكَ﴾من قوله تعالى: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ﴾[الشورى:٢٤]، والأرجح وضع علامة الوقف اللازم بناء على ما ذكره علماؤنا، وما يترتب على الوصل من دلالة عقدية ليس عليها اعتقادنا.

● ــ قدم البحث تفسيرا دلاليا لاتفاق القراءات المتواترة على جزم المضارع في قوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ [الأنعام:١٣٣] واتفاقها على رفعه في نظيره في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ﴾[هود:٥٧]

● ــ صور المضارع بعد الطلب في القرآن الكريم ثلاثة: **الأولى:** مجزوم بهذا الطلب باتفاق القراءات المتواترة، **والثانية:** مرفوع بعد الطلب باتفاق القراءات المتواترة، **والثالثة:** ــ ما قرئ بالرفع والجزم، وقد قدم البحث تفسيرا دلاليا لذلك.

● ــ استرشد البحث بالسياق في تفسير تنوع القراءات المتواترة في المضارع الوارد في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا

وَلَاهَضْمًا﴾[طه:١١٢]، وعدم تنوعها في النظير التركيبي في قوله تعالى: ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ **[الجن:١٣]**.

● ـ القائمون على ضبط المصحف الشريف وضعوا علامة (صلى) عند قوله ﴿ءَامَنَّا بِهِۦۖ﴾، من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ [الجن:١٣]، مما يعني أنهم يرون أن جملة﴿ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾من كلام الجنّ، والفاء رابطة، ولم يخالف في ذلك إلا المصحف الهندي حيث وضع علامة الوقف المطلق(ط)، الذي من مقتضياته " العدول عن الماضي إلى المستقبل، وعكسه"، فالأولى وضع علامة (ج) أو (قلى) لوجود القولين في قائل جملة ﴿ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾، و" العرب قد تستأنف بالفاء كما يستأنفونَ بالواو".

● ــ قدم البحث تفسيرا دلاليا لتنوع القراءات المتواترة في قوله تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران:١٢٠]، واتفاقها في نحو قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ﴾[المائدة:١٠٥] وقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ [الأنبياء:٦٦].

ثبت بأهم المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

ثانيا: المطبوعات:

- **إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع:** للإمام عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة (ت: ٦٦٥هـ)،تحقيق وتقديم وضبط: إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر (د.ت).
- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:** محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- **الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء:** لأبي عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر النكزاوي(ت٦٨٣هـ)، تحقيق: د. خالد حسن أبو الجود، دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٤٢هـ = ٢٠٢١م.
- **البحر المحيط:** لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- **تاج العروس من جواهر القاموس:** للزبيدي (أبي الفيض السيد محمد بن محمد عبد الرازق مرتضي ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: علي هلالي، ط حكومة الكويت ١٩٦٦م.
- **التحرير والتنوير**= «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ): الدار التونسية للنشر، تونس: ١٩٨٤م.
- **التَّفْسِيرُ البَسِيْط:** لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: د. محمد بن صالح بن عبد الله الفوزان، دققه ونقحه وضبطه: أ.د/ عبد العزيز بن سطام بن عبد العزيز بن آل سعود، أ.د/تركي بن سهو بن نزال العتيبي/ العبيكان، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٣٩هـ = ٢٠١٨م.

- **تقريب النشر في القراءات العشر:** للحافظ أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري (ت٨٣٣هـ)، دراسة وتحقيق: د. عادل إبراهيم محمد رفاعي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ١٤٣٣هـ.
- **تهذيب اللغة:** لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- **الجامع لأحكام القرآن:** لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١ه)، راجعه وضبطه وعلق عليه د. محمد إبراهيم الحفناوي، خرج أحاديثه د. محمود حامد عثمان، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٧١٦ه/١٩٩٦م.
- **حجة القراءات:** للإمام الجليل أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
- **الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد:** تصنيف أبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي (ت:٣٧٧هـ)، حققه بدر الدين قهوجي، بشير جويجاني، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث.
- **الخصائص:** صنعة أبي الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة ١٩٩٩م.
- **الدُّرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون:** للإمام شهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) تحقيق وتعليق الشيخ/ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، د/ جاد مخلوف جاد، د/ زكريا عبد المجيد النوتي، قدم له وقرظه د/ أحمد محمد صبره، دار الكتب العلمية بيروت لبنان. الطبعة الأولي ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
- **الدرة الفريدة في شرح القصيدة: لابن النجيبين الهمذاني(ت٦٤٣هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه: د. جمال محمد طلبة السيد، مكتبة المعارف للنشر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ =٢٠١٢م.**

- **دليل المحتار إلى اختلاف علامات الوقف في مصاحف الأمصار**: د. ياسر إبراهيم المزروعي، غراس للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان، الكويت (د. ت)
- **سرائر العربية في شرح الوافية الحاجبية**: للشيخ العلامة محمد بن علي الجرجاني(كان حيا ٧٣٠هـ)، تحقيق: مصطفى محمود أبو السعود، المكتبة الخيرية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٤٤هـ =٢٠٢٣م.
- **شرح الجعبري على متن الشاطبية المسمى كنز المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني**، تحقيق / فرغلي سيد عرباوي، مكتبة أولاد الشيخ ط١سنة٢٠١١م.
- **الشفاء في علل القراءات**: لأبي الفضل أحمد بن محمد بن محمد الجريري البخاري(من علماء القرن السابع)، دراسة وتحقيق: د. صالح بن أحمد العماري، د. حبيب الله بن صالح السلمي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، الطبعة الأولى ١٤٤٤هـ = ٢٠٢٣م.
- **شواذ القرآن واختلاف المصاحف**: شمس الدين الكرماني محمد بن أبي نصر بن عبد الله(ت بعد ٥٦٠هـ)، تحقيق: أ.د/ الموافي الرفاعي البيلي، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.
- **غاية النهاية في طبقات القراء**: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)، مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر.
- **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)**: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت: ٧٤٣ هـ)، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.
- **الكتاب الجامع لقراءات الأئمة العشرة بعللها ووجوهها وزيادة عليها**: نصر بن عبد العزيز بن أحمد بن نوح الفارسي الشيرازي (ت٤٦١هـ)، تحقيق: د. خالد حسن أبو الجود، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١٨م.

- **الكتاب المختار في معاني قراءات أهل الأمصار:** لأبي بكر أحمد بن إدريس (ق٤هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن حميد الجهني مكتبة الرشد، ط١ ١٤٢٨هـ ـــ ٢٠٠٧م.
- **الكتاب لسيبويه(ت١٨٠هـ):** تحقيق: أ. عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٢٨م.
- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:** أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ)، تح / عبد الرازق المهدي، دار الإحياء التراث، بيروت.
- **لسان العرب:** للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري(ت ٧١١ه)، دار صادر ــ بيروت، الطبعة السادسة ٢٠٠٨م.
- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها:** لأبي الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ): تحقيق / علي النجدي ناصف، د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، القاهرة ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
- **معاني القرآن وإعرابه** للزجاج أبي أسحق إبراهيم بن السِّري (ت ٣١١هـ) شرح وتحقيق د/ عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.
- **المغني في القراءات:** لمحمد بن أبي نصر بن أحمد الدهان النوزاوازي (ق ٦هـ)، تحقيق: د. محمود بن كابر بن عيسى الشنقيطي، الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، سلسلة الرسائل العلمية ٤٩، الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م.
- **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير):** فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (ت ٦٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
- **مقاييس اللغة:** أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ه) تح: الشيخ عبد السلام هارون، طبعة اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣ه/٢٠٠٢م.
- **المكتفى في الوقف والابتدا:** لأبي عمرو الداني (ت:٤٤٤هـ) تحقيق: د. يوسف عبدالرحمن المرعشلي – مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية،١٩٨٧م.

- **نثر المرجان في رسم نظم القرآن:** ناصر الملة والدين محمد غوث بن ناصر الدين بن محمد بن نظام الدين أحمد النائطي الآركاتي (ت١٢٣٨هـ)، تحقيق: د. خالد حسن أبو الجود، دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٤٢هـ = ٢٠٢١م.
- **النشر في القراءات العشر:** للحافظ أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري (ت٨٣٣هـ)، دراسة وتحقيق: د. السالم محمد محمود الشنقيطي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ١٤٣٥هـ.
- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:** إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (د. ت).
- **الوقف والابتداء:** لأبي الحسن لي بن أحمد بن محمد بن الغزَّال النيسابوري (ت٥١٦هـ)، تحقيق: د. طاهر محمد الهَمْس، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، سلسلة الدراسات القرآنية، الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ = ٢٠١٩م.

ثبت الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٣٢٢٤
٢-	Abstract	٣٢٢٥
٣-	المقدمة.	٣٢٢٦
٤-	تمهيد: الفعل المضارع: دلالاته المعجمية والصوتية والزمنية.	٣٢٣٢
٥-	ـ التفسير الصوتي لحروف المضارعة	٣٢٣٢
٦-	ـ دلالة المضارع زمانيا	٣٢٣٣
٧-	ـ المضارع بين الحقيقية والمجاز والاشتراك	٣٢٣٣
٨-	ـ أحوال الفعل المضارع من حيث الإعراب والبناء	٣٢٣٤
٩-	المبحث الأول: المستوى النحوي.	٣٢٣٥
١٠-	المطلب الأول: نون التوكيد بين التخفيف والتثقيل.	٣٢٣٥
١١-	المطلب الثاني: المضارع المقرون بالفاء أو الواو الوارد بعد جواب الشرط	٣٢٥٥
١٢-	المطلب الثالث: الجزم في جواب الطلب	٣٢٩٣
١٣-	المبحث الثاني: المستوى المعجمي.	٣٣٠٣
١٤-	الخاتمة	٣٣١٣
١٥-	ثبت بأهم المصادر والمراجع	٣٣١٦
١٦-	ثبت الموضوعات	٣٣٢١